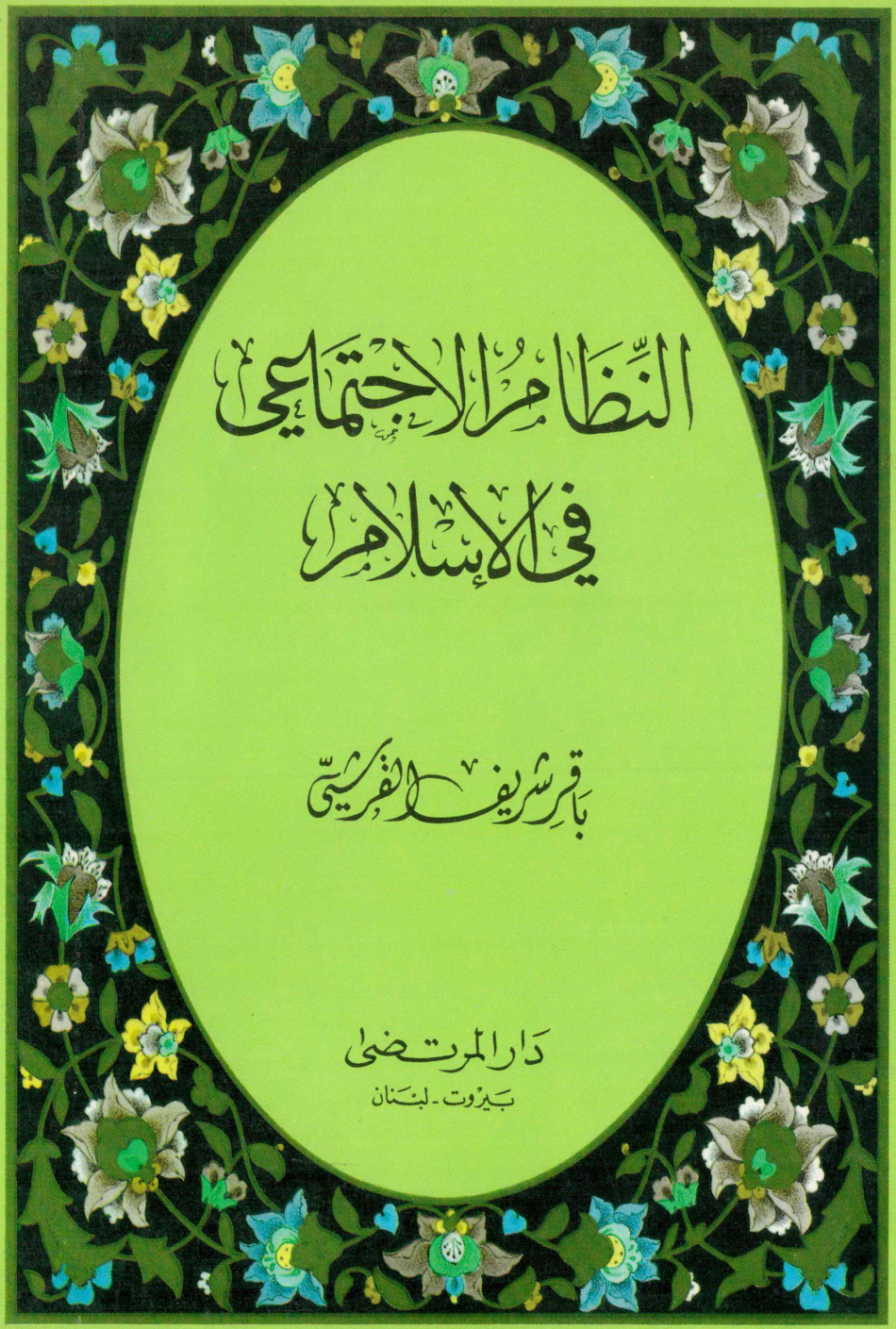

النظام الاجتماعي في الإسلام

باقر شريف القرشي

دار المرتضى
بيروت - لبنان

النظام الاجتماعي في الإسلام

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

دار المرتضى - طبع - نشر - توزيع

لبنان - بيروت - الغبيري - شارع الربيع - ص.ب: ١٥٥/٢٥ الغبيري

النظام الاجتماعي في الإسلام

باقر شريف القرشي

دار المرتضى
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إنَّ هذه أمتكم أُمة واحدة وأَنا ربكم فاعبُدون ﴾ ﴿ إنَّما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون ﴾.
(القرآن الكريم)

الإهداء

إلى الذين يسعون جاهدين، لإيجاد مجتمع سليم، تتوفر فيه عناصر التطور والإزدهار، أرفع إليهم ما قدمه الإسلام من الطاقات الندية الخلاقة في ميادين الإصلاح الاجتماعي، راجياً أن يحظى منهم بالقبول.

المؤلف

باقر شريف القرشي

تقديم

(١)

النظام الإجتماعي ضرورة ملحة من ضروريات الحياة الإنسانية، لا تستقيم من دونه، ولا تستقر بغيره، لقد طبع الإنسان على إيجاد نظام يوجه سلوكه مهما كان ذلك النظام[١] . وبه يمتاز الإنسان عن الحيوان السائم الذي لا يملك إلا الغرائز التي يسير عليها من الإحساس بالجوع، والعطش، وقضايا الجنس. ومن الطبيعي أن هذه الحاجات الفيسيولوجية تعم جميع أنواع الحيوانات، إلا أن الإنسان يمتاز عنها، فقد وهبه الله العقل الجبار ـ الذي هو من دون شك ـ من أعظم مخلوقات الله، ومن أكثرها إبداعاً، فهو الذي يقود مسيرة الإنسان في جميع مراحل حياته، وليس وراء قيادته قيادة أخرى.

(٢)

واجتاز الإنسان في العصور الأولى من نشأته وتكوينه مراحل قاسية، وفترات سوداء قاتمة، فلم تكن له أنظمة صحيحة، ولا مناهج مستقيمة، قد خضع لشريعة الغاب، فالقوي يتحكم في الضعيف، ويستبد في شؤونه. قد أغلقت نوافذ المعرفة، وساد الجهل، وعمت الفوضى جميع مراحل الحياة، وقد أشار القرآن الكريم إلى الحالة الراهنة التي كان يعيشها الناس، قال تعالى:

---

(١) المجتمع (ص ١٦) تأليف ارماكيفر شالر بيج.

﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدَّهر لم يكن شيئاً مذكورا ﴾[1] .

وهل في فاتحة الآية الكريمة بمعنى (قد)، يعني: قد أتى على الإنسان حين وأمد من الزمن، لم يكن شيئاً مذكوراً[2] لقد كان حاله حال الحيوان السائم في سلوكه واتجاهاته، فقد عاش ملايين السنين عيشة هزيلة ومهانة، يرى البرق، ويسمع الرعد، فيرتجف فرقاً، لا يعرف السر وراء هذه الأشياء، وكان ظلام الغابة، وعويل الرياح، وحفيف الأشجار، يفزعه، ويخيل إليه أن هناك أجساماً شريرة تريد أن تفتك به[3] . وقد أطلق (روسو) لقب «المتوحشين النبلاء» على تلك الجموع البشرية التي عاشت في تلك العصور[4] .

(٣)

وكان من لطف الله تعالى، ورحمته، وفيضه على عباده أَنْ بعث إليهم أنبياءه العظام، لإصلاح شؤونهم، وتدبير أمورهم، وإخراجهم من ظلمات الجهل إلى واحات المعرفة والنور، فأقاموا لهم المناهج السليمة، لتنظيم حياتهم، وأناروا لهم الطريق، بعدما كانوا يتلبدون في متاهات سحيقة مظلمة، من مجاهل هذه الحياة.

ومن المؤسف، أن الذين أوتوا العلم من تلك الأمم، قد اختلفوا فيما بينهم، وتباغضوا حسداً، وطلباً للجاه والمال، فغيروا وبدلوا أحكام الله تعالى، فأضلوا الطريق على أممهم، وحرموهم من تعاليم أنبيائهم، وأعادوا الظلام إلى الحياة، وقد أعلن القرآن الكريم هذه الظاهرة، قال تعالى: ﴿ **وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم** ﴾[5] .

إن الإختلاف الواقع بين أهل الكتاب، لم يكن نتيجة جهلهم بكتاب الله

---

(١) سورة الإنسان: آية ٢ .

(٢) فيما أحسب أن المراد من تفسير الآية هو ما ذكرناه، ولكن السادة المفسرين ذكروا شيئاً آخر .

(٣) في النفس والمجتمع: ص ١٤ .

(٤) المفتتح في علم المجتمع للدكتور محمد نبيل جامع (ص: ب).

(٥) سورة آل عمران: آية ١٩ .

تعالى، أو جهلهم بسنن أحكامه، وإنما وقع نتيجة البغي فيما بينهم، تهالكاً منهم على الدنيا، غير حافلين بما جروه على أممهم من الضلال والجهل.

(٤)

وكان من بين الأنظمة السماوية الديانة المسيحية التي اعتراها التحريف، والتغيير، والتبديل، من قبل القساوسة ورجال الكنيسة، فقد ربطت الدين كله بإرادة الكنيسة، حسب ما نص عليه (إنجيل متى)، بقوله: «في كل ما تربطونه في الأرض يكون مربوطاً في السماء، وكل ما تحلونه على الأرض، يكون محلولاً في السماء»[1].

والكنيسة تحلل وتحرم حسب رغباتها، وميولها، وما تمليه عليها السلطة، فقد حرمت الكنيسة الإنكليزية الزواج على رجال الدين، كما أباحت اللواط، وغير ذلك من مساوىء التشريع.

وقد دعت الديانة المسيحية إلى الزهد والقناعة، ونبذ ملاذ الحياة، وكان ذلك من عناصرها المشهورة، كما دعت إلى الذلة والمسكنة، ومن المؤكد أن هذه البنود من تشريعات الكنيسة، لا تصلح بأي حال، إلى الحياة المتطورة، والمتجددة، فإنَّ الإنسان بحسب مقوماته وسيكولوجيته، لا يرتضي حياة الزهد والقناعة، فهو يناضل، ويسعى جاهداً للظفر بملاذ الحياة ورفاهيتها، كما لا يرضى بأي حال حياة الذل والمسكنة، فإنهما يتجافيان مع كرامته وعزته.

وكانت هذه الظاهرة المؤسفة سائدة في البلاد الخاضعة للحكم المسيحي، فكان معظم أبنائها عبيداً للسادة والأشراف، وكان سكان القرى يباعون تبعاً للقرى، ولم ينكر القساوسة ورجال الكنيسة ذلك، مما أوجد شيوع الكراهية لهم في الأوساط المسيحية، ونقمتهم على دينهم، وكانت (روسية) خاضعة لهذا النظام القاسي، فرفضته، واحتضنت مبادىء لينين، وكارل ماركس، إلا أنها فرت من ظلم إلى ظلم آخر هو أقسى، وأشد محنة وبلاءً عليها

---

(١) الإصحاح ١٨: الفقرة ١٨.

مما كانت فيه، ولكنها انطلقت كالمارد الجبار، فحطمت القيود والأغلال، وتخلصت من النظام الشيوعي.

(٥)

أما ما قنن في الشريعة الموسوية، فهو على العكس والنقيض مما شرع في الديانة المسيحية، فإنه يدعو إلى التهالك على المادة، والسيطرة على المال بأي وسيلة، وبأي طريق، مهما كان ملتوياً وشاذاً.

لقد آمنت الصهيونية العالمية التي هي الوجه الحقيقي لليهود، بالإستغلال والإحتكار، ونهب ثروات الشعوب، واستعبادها، ومن الطبيعي أن الدعوة إلى المادة بهذا الشكل المنحرف، يتصادم مع نواميس الحياة، ومع الفطرة الإنسانية، فإن الإنسان كما يقول أريك فروم: «روحاني بحسب خلقته».

لقد زعم اليهود أنهم شعب الله المختار، ولكن هذه الدعوى بعيدة كل البعد عن سلوكهم، وما يحملونه من روح الحرب، والبطش، وسفك الدماء، وقد تغلبت عليهم منذ فجر تأريخهم، روح الوثنية، فهم الذين عبدوا العجل الذهبي في صحراء سيناء، وهم الذين شردوا الشعب الفلسطيني عن وطنه، وأنزلوا به أبشع الجرائم، وأقسى المحن والخطوب.

(٦)

وظهرت على مسرح الحياة العامة، في هذه العصور، بعض الأنظمة الإجتماعية التي كان منها النظام الرأسمالي، والنظام الشيوعي المنهار، وليس في هذين النظامين، بصورة جازمة، أية نظرة لقضايا الروح، وتهذيب الأخلاق التي يؤمن بها الإنسان بحكم فطرته ونشأته، فلم يعن كل من هذين النظامين، إلا بالمادة، فقد سيطرت على جميع بنود تشريعاتهم، وليس فيها أي بصيص لأحاسيس الروح، ويقظة الضمير.

لئن نظرت **الرأسمالية** إلى زيادة الربح الفردي، وتنميته، وصيانته،

وأقرت جميع وسائل الإحتكار والإستغلال، وآمنت إيماناً مطلقاً بنهب ثروات الشعوب، والتحكم في اقتصادها، ولم تعر أي اهتمام لقضايا الفكر والأخلاق، وتنظيم المجتمع في سلوكه.

أما الشيوعية فقد نظرت إلى الإنسان بأنه كائن مادي بحت، ونظرت إلى المادة فجعلتها الكائن الحي في المجتمع، وقد حولتها من الأفراد إلى مسار الدولة، وجعلتها المالك الحقيقي لجميع ثروات البلاد، ومقوماتها الإقتصادية، وحرمت الفرد من جميع رغباته الإقتصادية، فقد حرمت الملكية الفردية لأنها ـ فيما تزعم ـ الأداة الفعالة إلى خلق (البورجوازية) في البلاد، وتنكرت للحرية الفردية، كما شنت حملة شعواء على الأديان السماوية، وزعمت أن الدين أفيون الشعوب.

إنَّ من أوليات النظام الشيوعي التحلل المسرف من الإيمان بالله تعالى، ورفض قواعد الأخلاق التي رسمتها الأديان السماوية إلى الناس، وقد بشرت الشيوعية معتنقيها، بأنها ستجعل الأرض فردوساً أعلى، وينعم في ظله كل فرد، إلا أنها باءت بالفشل، فقد خيم الفقر، والبؤس، والحرمان، على جميع أنحاء الاتحاد السوفياتي، الذي كان الوطن الأم للشيوعية العالمية، وكانت دعايات الشيوعيين سراباً، وقد انتفض الإتحاد السوفياتي، وألقى عن كاهله الشيوعية، وحطم أوثانها، وتخلص من شقائها.

وعلى أي حال، فإنَّ الأنظمة الحديثة، لم تنسجم مع طبيعة الإنسان، وظلت ثقيلة عليه، فهي حلول عرجاء لم تعالج بصورة حاسمة مشاكل الإنسان، لا الإقتصادية، ولا الأخلاقية، فقد فصلت الإنسان عن نفسه، وفصلته عن طبيعته.

(٧)

وليست الحضارة والتقدم للأمم والشعوب التي تملك القنابل الذرية و(الهيدروجينية)، ولا بما عندها من الأقمار الصناعية، والسفن الفضائية،

وغير ذلك من ألوان التقدم (التكنلوجي)، فإنَّ جميع ذلك ليس مظهراً من مظاهر الحضارة والتقدم، وإنما هو مظهر للقوة، واستعباد البشر، ونهب ثروات الشعوب.

إنَّ الدول الغربية التي تملك وسائل الدمار الشامل، قد أفلست إفلاساً تاماً من قضايا الأخلاق، فقد شاعت في ربوعها جميع ألوان الموبقات، والتي كان منها تعاطي المخدرات، واقتراف أبشع الجرائم الجنسية، وتزيين المسكوكات، وخطف البشر لطلب الفدية[1]. وقد انتشرت بصورة هائلة جرائم السرقة، والاعتداء على الأبرياء، وبخاصة في مجالات الأحداث[2].

إنَّ الإحصاءات الرسمية، أو السجلات الخاصة بالمجرمين، لا تمثل الحجم الأصلي لمرتكبي الجرائم، فهناك جرائم مجهولة لا تكشفها جهود ورجال الشرطة، والضبط. إنَّ هذه الظواهر المحزنة من أقسى ألوان الكوارث الإجتماعية التي تدمر الحياة العامة، وتقضي على الدعة، والأمن، والإستقرار. ولم تختص هذه الجرائم بالدول الغربية، وإنما شملت الدول الخاضعة لنفوذها.

(٨)

إنَّ دول (أوروبة) التي تتحكم في مصير العالم في هذه العصور، تعاني شعوبها أسوأ الأزمات النفسية والأخلاقية، فلم تقم بين أفراد أسرها عاطفة رحم، ولا مودة قرابة، قد فقدت جميع مقومات الحياة الرفيعة، فلم تنعم بأواصر المحبة والالفة، يعاني الطاعنون في السن آلاماً قاسية، قد نبذهم أبناؤهم، فلا أنيس لهم، ولا سمير، سوى القطط والكلاب، فأَيَّةُ حياة رخيصة وهزيلة مثل هذه الحياة؟!.

---

(١) دستور الأخلاق في القرآن: (ص ٧)، نقلاً عن تقرير أعده الدكتور عبد القادر، رئيس وحدة بحوث الأسرة بالمركز القومي بالقاهرة.

(٢) التغير الاجتماعي في البلاد العربية، وعلاقته بالجريمة: (ص ٥٥).

(٩)

أما الإسلام: فهو الحل الوحيد لكل ما تعاني منه الإنسانية من أزمات وكوارث، فقد وضع الحلول الحاسمة لكل مشاكل الحياة، وعني بالإنسان عناية بالغة، وقد حكى القرآن الكريم مدى تفضيل الله للإنسان على جميع مخلوقاته، فقد قال تعالى: ﴿ **وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً** ﴾[1]، ولم يقتصر فضل الله للإنسان على غيره، فقد أمر ملائكته الكرام بالسجود لآدم أبي البشر، قال تعالى: ﴿ **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا** ﴾[2]. إن الإنسان من أعظم مخلوقات الله تعالى، ومن أكثرهم منزلة وأهمية عنده تعالى، وقد أحاط بجميع قضاياه، ومشاكله، فقنن له أحكامه الخالدة التي تساير الفطرة، ولا تشذ عن سنن الحياة، وتتناسب مع الحياة الإجتماعية في كل زمان، ومكان.

(١٠)

وستبقى أفكار الإسلام وتعاليمه، مدرسة مشرقة، حافلة بجميع عوامل النهوض والإرتقاء، لجميع شعوب العالم، وأمم الأرض، غير خاضعة للأفكار الضيقة التي تفرضها تعدد البيئات، واختلاف الجنسيات، واللغات.

لقد لاحظ الإسلام بصورة عميقة وشاملة، سنة التطور والتقدم، لجميع أبناء البشر، فقنن أحكامه الخالدة، وقد ألغى فيها الفوارق الطبيعية والعنصرية، وجعل التمايز بالتقوى التي هي العنصر الأساس للمثل العليا، والمصدر الحقيقي لسمو الإنسان، وكماله.

إنَّ رسالة الإسلام غير محصورة في بيئة معينة، ولم تأت لشعب دون شعب، وإنما هي للناس جميعاً على اختلاف قومياتهم ولغاتهم، قال الله تعالى

---

(١) سورة الإسراء: آية ٧٠.

(٢) سورة البقرة: آية ٣٤.

في نبيه العظيم: ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾[2] ومهما حاول المشرعون تقنين المناهج لرقي شعوبهم، ورفع مستواهم، فإنهم لا يجدون مثيلاً لما قننه الإسلام في ميادين الإصلاح الإجتماعي.

(١١)

ولسنا بحاجة إلى إقامة الدليل والبرهان، على أَنَّ الإسلام ليس مجرد عقائد دينية بحتة، كما يتهمه بذلك المستشرقون من عملاء الإستعمار، وإنما هو دين شامل، ومستوعب لجميع قضايا الإنسان ومتطلباته، والتي منها التشريع السياسي، والإقتصادي، والعسكري، وغير ذلك مما يمس حياة الناس.

إنَّ إلقاء نظرة خاطفة على ما قننه الإسلام في المجالات العامة، تكفي للإستدلال على مدى شمولية أنظمته لجميع جوانب الحياة، وإنه دستور عالمي مستوعب لجميع شؤون الإنسان ورغباته، والتي منها القضاء على الفقر، والمرض، والجهل، ومن الطبيعي أَنَّ القضاء على هذه الأسباب، مما يوجب انهيار عوامل التخلف، والإنحطاط، في جميع مناحي الحياة.

ومن الجدير بالذكر أنه من بين ما عني به الإسلام، إصلاح السلوك الشخصي، وإقامة الأخلاق الرفيعة، والعادات الحسنة في ضمير الإنسان وكيانه، ليكون مواطناً صالحاً.

(١٢)

ومن بين ما قننه الإسلام في تشريعاته العظيمة، هو النظام الإجتماعي، فقد أقامه على منهج مشرق، تتوحد فيه الجماعة الإسلامية على أساس وثيق من

---

(١) سورة سبأ: آية ٤٨.

(٢) سورة الأنبياء: آية ١٠٧.

المحبة والالفة، هي أقوى وأعمق بكثير من رابطة النسب والدم، وقد برزت هذه الظاهرة على الصعيد الإجتماعي في العصور الإسلامية الأولى، فكانت أروع صورة للحياة البشرية على وجه الأرض، وكان من أمثلتها الخالدة: الإيثار الخالص من بعض الشهداء، وهو صريع على وجه الأرض، قد ذاب قلبه من العطش، فآثر أخاه الجريح بالماء، معلناً أنه أكثر ظمأً منه.

ومن تلك اللقطات الرائعة في دنيا الإسلام، ما أبدته الأسرة النبوية المقدسة، من الإيثار، الذي هزّ المشاعر والعواطف، فقد قدموا طعام فطورهم، ثلاثة أيام متوالية، إلى المسكين، واليتيم، والأسير، لم يذوقوا شيئاً، وواصلوا صيامهم صابرين على ألم الجوع، فشكر الله تعالى هذا الإيثار، وأنزل فيهم سورة من القرآن الكريم وهي سورة ﴿ هل أتى ﴾ باقية مدى الدهر، تشيد بفضلهم، وعظيم إيثارهم.

(١٣)

ولا تلم بحوث هذا الكتاب إلا ببعض المناحي من التشريعات المنهجية للنظام الاجتماعي في الإسلام، فإنَّ استيعاب كل ما قننه الإسلام، وشرعه، في هذا المجال، يستدعي دراسة مطولة، لعلها تستوعب عدة مجلدات.

إنَّ هذا الكتاب ـ بالتأكيد ـ غير ملم بهذا الموضوع من جميع جوانبه، وإنما يلقي أضواءً على بعض معالم ذلك النظام الحافل بجميع قيم الإنسانية ومقوماتها، آملاً أن أكون قد ساهمت في خدمة الإسلام، وأبرزت بعض ذخائره التي لا صلاح للإنسان من دونها، والتوفيق بيد الله تعالى، يهبه لمن يشاء من عباده.

إشاعة الإيمان بالله

وأهم ما عني به الإسلام في نظامه الإجتماعي، إشاعة الإيمان بالله تعالى، ونشر كلمة التوحيد، تلك الكلمة المشرقة التي تضيء في سماء هذا الكون، يهتدي بها الحائر، ويسترشد بها الضال، وتملأ قلوب العارفين إيماناً، وهداية.

إنَّ الإيمان بالله تعالى، هو الركيزة الكبرى التي تبتنى عليها قوى الخير، والمحبة، والسلام، في الأرض. وإن كل فكرة ترتبط به تعالى، لهي فكرة خير وصلاح تعود بالنفع، والخير العميم، على الإنسان. وكل فكرة تشذ عنه، وتتجافى عن هديه، لهي فكرة سوء وضلال، تعود بالضرر البالغ، والدمار الشامل على الإنسان.

لقد جاهد أنبياء الله العظام جهاداً قاسياً، وناضلوا نضالاً، فناجزوا قوى الشرك والإلحاد، من أجل أن يسود الإيمان بالله تعالى في الأرض، ويحرر العقل البشري من خرافات الأوثان، وأضاليل الأصنام.

وقد حمل لواء التوحيد، سيد النبيين وخاتمهم، الرسول، صلى الله عليه وآله، فعانى صنوفاً مرهقة من الاضطهاد والإرهاق، فقد أجمع عتات قومه، وطواغيتهم، وعلى رأسهم أبو جهل، وأبو سفيان، على أَنْ يردّوا أصوات التوحيد إلى مصدرها، ويلغوا راية الإسلام، إلا أن الله تعالى نصر نبيه العظيم، فقد اندحرت القوى المعادية له، وارتفعت راية الإيمان عالية خفاقة، وقام الإسلام على سوقه، كبل الذراع، مفتول الساعد، تمتد موجات نوره إلى جميع

أمم العالم، وشعوب الأرض.

وعلى أي حال، فلا بد لنا من وقفة قصيرة للنظر فيما أقامه الإسلام من الأدلة الحسية، والتجريبية، على ضرورة الإيمان بالله، خالق الكون، وواهب الحياة، كما لا بد من النظر فيما يترتب على الإيمان من عطاء فكري ونفسي للإنسان، وغير ذلك مما يتربط بالموضوع، ويتصل بطرق الإيمان.

أما الطرق، والوسائل المؤدية إلى الإيمان بالله تعالى، فهي كما يلي:

الإيمان عن تقليد:

وهو أن يرى الإنسان أبويه، وأسرته، وبيئته، يؤمنون بالله، ويعبدونه فيتبعهم، ويسير على منهجهم، من دون أن يستند في ذلك إلى دليل قاطع، وبرهان حاسم،وهذا من أضعف الإيمان، لأنه لا يلبث أن يتلاشى، كما يتلاشى الدخان في الفضاء، فقد ارتد جملة من الناس، لأنهم لم يأخذوا إيمانهم بالله عن الدليل، وقد شن الإسلام عليهم حملة شعواء، وأهاب بكل مسلم أن يتحرر من التقليد الأعمى، وأن يتبصر، وينظر بعمق إلى آيات الله العظيمة، ليكون إيمانه عن بصيرة، لا عن تقليد.

لقد شجب القرآن الكريم، في بعض آياته، تقليد الأمم السابقة لآبائهم الذين كانوا يعبدون الأصنام، فقد حكى إنكار إبراهيم شيخ الأنبياء، عليه السلام، على أبيه وقومه، الذين كانوا يعبدون الأوثان، قال تعالى: ﴿ **إذ قال ـ أي إبراهيم ـ لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون * قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين، قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين** ﴾[1].

لقد عكفوا على عبادة الأوثان، تقليداً لآبائهم، ومن الطبيعي أن عبادتهم لتلك التماثيل، لا تكسبها قيمة، ولا قداسة، وقد أنكر عليهم إبراهيم، عليه السلام، ذلك، لأنهم قد خلعوا عن نفوسهم حرية الفكر، وانطلاقه الداعي إلى التحرر من الوراثات المتحجرة، والقداسات الوهمية.

---

(١) سورة الأنبياء: آية ٥٣ ـ ٥٦.

وأنكر القرآن الكريم في آية أخرى، التقليد الأعمى للآباء، قال تعالى: ﴿ **بل قالوا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون** ﴾[1] . يقول السيد قطب، وهي قولة تدعو إلى السخرية فوق أنها متهافتة لا تستند إلى قوة، إنها مجرد المحاكاة ومحض التقليد، بلا تدبر، ولا تفكر، ولا حجة، ولا دليل، وهي صورة فردية، تشبه صورة القطيع، يمضي حيث هو يُساق، ولا يسأل إلى أين يمضي، ولا يعرف معالم الطريق.

والإسلام رسالة التحرر الفكري، والإنطلاق الشعوري، لا يقر هذا التقليد المزري، ولا يقر محاكاة الآباء والأجداد، اعتزازاً بالإثم والهوى، فلا بد من سند، ولا بد من حجة، ولا بد من تدبر وتفكر، ثم اختيار مبني على الإدراك واليقين[2] .

ونص عليهم القرآن الكريم، إصرارهم المحثوث على تقليد الآباء، قال تعالى: ﴿ **وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا** ﴾[3] . إن دليلهم الوحيد هو التقليد لآبائهم، والتقليد الجامد المتحجر، الذي لا يقوم على علم، ولا يعتمد على تفكير، التقليد الذي يريد الإسلام أن يحررهم منه، وأن يطلق عقولهم لتتدبر، ويشيع فيها اليقظة، والحركة، والنور، فيأبوا هم الإنطلاق من إسار الماضي المنحرف، ويتمسكوا بالأغلال والقيود.

إن الإسلام حرية في الضمير، وحركة في الشعور، وتطلع إلى النور، ومنهج جديد للحياة، طليق من إسار التقليد والجمود .

إن الإسلام لا يقر مجال التقليد في العقائد، ويصر على النظر، والتدبر، والفكر، ليتوصل بذلك إلى الحقيقة التي لا مجال للشك فيها.

---

(١) سورة الزخرف: آية ٢٢.
(٢) في ظلال القرآن ٢٥/ ٧١.
(٣) سورة لقمان: آية ٣١.

الإيمان عن برهان:

أما الأدلة القائمة على وجود الله العظيم، الذي من لوازمه ضرورة الإيمان به، فهي كما يلي:

١ ـ الأدلة العقلية

وأقام الفلاسفة والمتكلمون، جمهرة كبيرة من الأدلة الحاسمة التي لا يتطرق إليها الشك، على وجود الله تعالى، ووحدانيته، ولزوم الإيمان به، ومن بين تلك الأدلة (مبدأ العلية) فإنَّ جميع ظواهر الطبيعة من تقلبات الجو، وتعاقب الليل والنهار، وحالات الإنسان، والحيوان، والنبات، كلها ترتبط بمبدأ (العليَّة)، وأنها ناشئة عن تلك القوة الكبرى المبدعة والمكونة لها، فهي التي تفيض الوجود على الشيء بعدما كان معدوماً، وإذا نفينا مبدأ (العليَّة)، لما تمكن عالم من إجراء تجربة، ولا طبيب من وصف دواء، ولا كان للفن والفلسفة، ولا للعلم بشتى أنواعه، ولا للمسؤولية وتحملها، عين ولا أثر، بل ما كان في الوجود إلا الفوضى والخراب[1].

إن كل ممكن موجود يفتقر ـ بالبداهة ـ إلى مؤثر موجود، وذلك المؤثر هو الله تعالى خالق الكون، وواهب الحياة، وقد أطال الفلاسفة والمتكلمون، البحث في هذه الجهة، ولسنا بحاجة إلى ذكرها، بعد أن توفرت الأدلة الحسية التي لا تقبل المناقشة والجدل، على وجود الخالق العظيم.

٢ ـ الأدلة الحسية

أما الأدلة الحسّية على وجود الخالق العظيم، فهي لا تحصى، ففي كل ذرة من ذرات هذا الوجود، دلالة واضحة وصريحة، على وجود الخالق العظيم، ولزوم الإيمان به... وقد سلك القرآن الكريم هذا المنهج، فوضع الأيدي على اللمسات الحسّية التي تدل على وجود المبدع الحكيم، ولعل من

---

(١) الإسلام بنظرة عصرية (ص ٢٥).

المفيد جداً أن نشير إلى بعض الآيات، وهي:

١ ـ قال تعالى: ﴿ **إن في خلق السَّمٰوات والأَرض، واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب** ﴾[١].

يا له من منظر رائع، تتفتح أمامه العيون والأبصار، وتنطلق الأفكار، إنه مشهد السَّمٰوات والأرض، ومشهد اختلاف الليل والنهار، وما فيهما من تنسيق وإبداع ونظام، وإحكام، لا بد فيهما من ناموس يتحكم فيهما، ولا يمكن أن يكون ذلك خداعاً، ولا جزافاً، ولا صدفة، ولا باطلاً، وإنما صادر عن قوة مبدعة هي فوق الخيال والفكر.

إنَّ في مجرد التفكر في خلق السَّموات والأرض، واختلاف الليل والنهار، يوحي إلى الإيمان المطلق بالله تعالى، ويزيل عن آفاق النفس غبار الشكوك والأوهام.

٢ ـ قال تعالى: ﴿ **ومن آياته خلق السَّموات والأرض وما بث فيهما من دابة** ﴾[٢] إن آية خلق السموات والأرض لا تحتمل جدلاً، ولا ريبة، ولا شكاً، ولا يجادل فيها مجادل، وهي تنادي، بوجود الخالق العظيم... ليس الذي أنشأها هو الإنسان، ولا غيره من مخلوقات الله تعالى.

إن ضخامة الأرض والسماء، وتناسقهما الدقيق، ونظامهما الدائب، كل ذلك لا يمكن أن يفسد عقلاً، إلا على أساس أن هناك إلهاً أنشأهما ودبرهما.

وتنطوي آية السموات والأرض على آية أخرى في ثناياها: ﴿ **وما بث فيهما من دابة** ﴾ والحياة في هذه الأرض وحدها ـ ودع عنك ما في السماوات من حيوات أخرى لا ندركها ـ آية أخرى، وهي سر لم ينفذ إلى طبيعته أحد، فضلاً على أَنَّ التطلع إلى إنشائه سر غامض لا يدري أحد كنهه، وواقعه.

هذه الأحياء المبثوثة في كل مكان فوق سطح الأرض وفي ثناياها، وفي أعماق البحر، وفي أجواء الفضاء ـ ودع عنك تصور الأحياء الأخرى في

---

(١) سورة آل عمران: آية ١٩٠.

(٢) سورة الشورىٰ: آية ٢٩.

السماء ـ هذه الأحياء المبثوثة التي لا يعلم الإنسان منها إلا النزر اليسير، ولا يدرك منها بوسائله المحدودة إلا القليل المشهود. هذه الأحياء التي تدب في السماوات والأرض، يجمعها الله حيث يشاء، لا يضل منها فرد واحد، ولا يغيب.

وأسراب من الطير لا يعلم عددها إلا الله تعالى، وأسراب من النحل والنمل وأخواتها، لا يحصيها إلا الله، وأسراب من الحشرات والهوام والجراثيم لا يعلم مواطنها إلا الله، وأسراب من الأسماك وحيوان البحر، لا يطلع عليها إلا الله، وقطعان من الأغنام والوحش، سائحة وشاردة في كل مكان، وقطعان من البشر مبثوثة في الأرض في كل مكان[1]. كلها تنادي بوجود الله تعالى.

٣ ـ قال تعالى: ﴿ **ومن آياته خلق السموات واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين** ﴾[2].

إن من آيات الله تعالى البينات خلق السموات والأرض، وقد عرضنا لذلك، ومن آياته تعالى اختلاف ألسنة الناس، وألوانهم، ومن المؤكد أن لهما علاقة بخلق السَّماوات والأرض، لأن اختلاف الأجواء على سطح الأرض، واختلاف البيئات والمناجم من طبيعة وضع الأرض الجغرافي، فإن لذلك علاقة باختلاف الألسنة والألوان.

٤ ـ قال تعالى: ﴿ **ومن آياته منامكم بالليل والنهار، وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون** ﴾[3].

نظرت الآية الكريمة إلى ما يتعلق بأحوال الإنسان التي يستدل بها على وجود الله تعالى وتدبيره، وحكمته، وهو نوم البشر بالليل، ذلك النوم الذي يعوّض الجسم جميع ما أنفقه من المتاعب للسعي على معاشه، فقد جعل الله

---

(١) في ظلال القرآن: ٢٥: ٣٦ ـ ٣٧.
(٢) سورة الروم: آية ٢٢.
(٣) سورة الروم: آية ٢٣.

تعالى غدداً في الجسم تنشر الراحة في الجسم حين منامه، وأما في النهار فإن الإنسان يقظ فيه، يسعى بنشاط وكد، لابتغاء رزق الله تعالى، وكان ذلك في ضوء النهار، وفي ظلام الليل للمنام فيا له من تنسيق رائع، وحكمة بالغة، في تسيير نظام هذا الكون.

٥ ـ قال تعالى: ﴿ **ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً، وينزل من السماء ماءً فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون..** ﴾[١].

عرضت الآية الكريمة إلى ظاهرة من ظواهر النظام الكوني، وهي البرق الذي هو من آيات الله تعالى، فإنه يحدث شعوراً بالقلق والخوف من سقوط الزلازل والصواعق التي تدمر الأحياء والحياة، كما يحدث شعوراً بالطمع في نزول المطر الذي هو من أعظم مصادر الخير في الأرض. وقد عقب تعالى ذلك بقوله: ﴿ **وينزل من السماء ماءً فيحيي به الأرض بعد موتها** ﴾ إن في نزول المطر إلى الأرض حياة لها، فهو يبعث فيها الزرع والنبات، ويجعلها تموج بالنضارة والحياة.

٦ ـ قال تعالى: ﴿ **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها. وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون..** ﴾[٢].

من آيات الله تعالى البينات أنه خلق الزوجين: الذكر والأنثى، امتداداً لبقاء الإنسان، واستمراراً لوجوده على هذا الكوكب الذي يعيش عليه، وقد أودع تعالى في نفس كل منهما للآخر، عواطف المحبة، ومشاعر المودة، وجعل كلاً منهما سكناً للنفس، وراحة للجسم، واستقراراً للحياة، ومما لا شبهة فيه أن في ذلك لآية لقوم يتفكرون.

ولم تقتصر ظاهرة الذكورة والأنوثة على الإنسان، وعموم الحيوانات، وإنما كانت شاملة لعالم النبات على اختلاف أنواعه، وتعدد فصائله، بل شملت غير النبات مما لا نعلمه، قال تعالى: ﴿ **سبحان الذي خلق الأزواج كلها**

---

(١) سورة الروم: آية ٢٤.

(٢) سورة الروم: آية ٢١.

مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون ﴾[1] . هذه بعض آيات الله التي أعلنها القرآن الكريم، وهي أدلة حسية تعتمد على الحس واللمس على وجود الخالق العظيم، وإنه ضرورة حتمية من ضروريات الحياة، وأن الذي ينكره ويجحده لا يملك أي دليل على ذلك، وإنه قد فقد وعيه وحسه، وهبط الى مستوى سحيق من الجهل والإنحطاط ما له من قرار.

لئن تطورت العلوم في هذه العصور بصورة مذهلة، واكتشف العلماء كثيراً من الحقائق التي كانت مخفية، وكان من أعظم الإنجازات العلمية صعود الإنسان إلى القمر، وهو حلم لم تحلم به الإنسانية في تأريخها الماضي، وقد نزل رواد القمر متجهين صوب الكنائس، فقد رأوا عظيم قدرة الله تعالى، وبدائع حكمته، وصنائعه.

إن التقدم (التكنولوجي) الذي حصل عليه الإنسان في مختلف العلوم، خصوصاً في علوم الفيزياء والكيمياء، قد أوجب انهيار الأفكار المادية التي تجحد الله تعالى، وإصابتها بالخرافة والعقم. . ومن المؤكد أن الإنسانية في جميع أنحاء الأرض قادمة على الإيمان بالله، إيمان ينبعث عن الأدلة الحسية التي لا يخامرها أدنى شك.

ثمرات الإيمان.

لا أرى هناك عائدة على الإنسان، أعظم ولا أسمى، من الإيمان بالله تعالى، فإنه يعود عليه بأعظم المكاسب، والتي منها ما يلي:

١ ـ إن من أهم ما يظفر به الإنسان من إيمانه بالله تعالى، أنه يقيه الأمراض النفسية، فلا يساوره قلق ولا جزع من مجريات الأحداث التي يمنى بها ـ كما أعلن ذلك علماء النفس ـ فإن الإنسان إذا اعتقد أن ما يصيبه من الكوارث مكتوب عليه، وأن الأمور كلها بيد الله تعالى، فهو الذي يدبر أمور خلقه بما شاء، فمن الطبيعي أنه لا يحزن، ولا يجزع على ما مني به، وبذلك يتخلص من الأزمات النفسية التي تؤدي في بعض الأحيان إلى

---

(١) سورة يس: آية ٣٦.

هلاكه[1].

٢ ـ من ثمرات الإيمان بالله تعالى، أن الإنسان إذا تسلح به، ونفذ إلى أعماق قلبه، ودخائل نفسه، فإنه يصونه من اقتراف الجرائم، ويحميه من ارتكاب المنكرات، ويصده من الإعتداء والعدوان على أخيه الإنسان، وهو أقوى بكثير من سن القوانين، وفرض العقوبات الشديدة التي تفرضها الدول على مرتكبي الجرائم، فإنها على الرغم من قسوتها، لم تمنع من صدور الجرائم، فقد ضجت الأرض ـ في هذه العصور التي تزعزع فيها الإيمان ـ من كثرتها، فحوادث السرقة، واختطاف الطائرات، وترويع الآمنين، وغير ذلك مما تعج به دوائر الشرطة، والمحاكم كلها، ناجمة من فقد الإيمان بالله. إن الإيمان بالله تعالى هو السياج الواقي للمجتمع من الظلم، والغبن، والاعتداء، كما أنه الضمان الوحيد لنشر الدعة والأمن، والإستقرار في العالم.

٣ ـ إن الإيمان بالله تعالى تترتب عليه جميع القيم العليا، والمثل الكريمة، ومن دونه لا يكون للوجود معنى يقول: (راندروكو نواي إيفي)، العالم الفسيولوجي: إنَّ الإعتقاد بوجود الله تعالى هو الوسيلة الفكرية الكاملة الوحيدة التي تجعل لوجود الإنسان معنى. وهذا الاعتقاد هو الذي يجعل لوجود الإنسان معنى أكثر من أنه مجرد كتلة من المادة أو الطاقة.

والإعتقاد بوجود الله تعالى هو المنبع لأسمى فكرة إنسانية حول المحبة، والقاعدة التي تقوم عليها الأخوة بين البشر بسبب اجتماعهم على محبة الله وطاعته، وهو مصدر إحساسنا بالحقوق والواجبات، لأننا لا نتساوى إلا في نظر الحب، والعدالة، والرحمة المطلقة، والإعتقاد بوجود الله هو الحصن الذي يعصمنا من الشرور، وهو ذلك الأساس المتين الذي يقوم عليه الإيمان، وتدوم بسببه القيم الروحية التي يعتبر وجودها رهيناً بوجوده تعالى»[2].

إن القيم العليا التي يسعد بها الإنسان، وتزدهر بها حياته، ويكون بمنجى

---

(١) الدين والعلم الحديث: ص ١٤٦.

(٢) الدين والعلم الحديث: ص ٢٤ ـ ٢٥.

من الشرور والآثام، ترتبط بالإيمان بالخالق العظيم الذي هو مصدر الفيض والعطاء لجميع الكائنات الحية، ومن دون الإيمان به تصبح الحياة قاتمة لا بصيص فيها من النور، يسودها القلق والاضطراب، وتعمها الكوارث والمحن.

إن الإيمان بالله تعالى يلهم الإنسان طرق المحبة والخير، ويبعده عن نزعاته الشريرة، ويفتح له آفاقاً كريمة لازدهار حياته، وسلامته من المحن، والكوارث.

نشر العلم

إنَّ من أوليات المبادىء التي رفع شعارها الإسلام، وتبناها في جميع مجالاته، هي بسط العلم، ونشره، وإشاعته بين الناس، وجعله ضرورة من ضروريات الحياة.

لقد انطلق الإسلام كالمارد الجبار وهو يحمل معول الهدم على الجهل والتخلف، ويدعو إلى التسلح بالعلم، وكانت كلمات النبي، صلى الله عليه وآله، في التحريض على طلب العلم قوة دافعة، وزخماً عظيماً أيقظت طاقات المسلمين، أنظروا إلى أحاديثه المشرقة في تمجيد العلم:

قال صلى الله عليه وآله: «طلب العلم فريضة على كل مسلم، أَلا إنَّ الله يحب بغاة[1] العلم..»[2].

إنَّ طلب العلم ـ حسب هذا الحديث ـ ليس مستحباً وندباً، وإنما هو حكم إلزامي يُسأَل عنه العباد... وفي حديث آخر: «تعلموا العلم فإن تعلمه لله حسنة، ودراسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وطلبه عبادة، وتعليمه صدقة، وبذله لأهله قربة»[3].

أرأيتم هذه الحفاوة والتعظيم للعلم، والحث على طلبه ودراسته، لأنه

---

(١) بغاة العلم: أي طلابه.
(٢) أصول الكافي ١/ ٣٠.
(٣) روح الإسلام: ص ٣٤٣.

من المستحيل أن تنهض أمة، وتحتل مكاناً مرموقاً تحت الشمس من دون أن تتسلح بالعلم.

ولقد بلغ من اهتمام الإسلام البالغ بطلب العلم، أن جعل مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء، وهم أكرم الناس، وأفضلهم منزلة عند الله تعالى، وقد أمر النبي، صلى الله عليه وآله، بالسعي لطلبه ولو كان في الصين.

استمعوا إلى ما يقوله رائد العدالة الإجتماعية في الإسلام، الإمام أمير المؤمنين، عليه السلام، في الحث على طلب العلم:

«ما مات من وهب نفسه للعلم..» وقال: «خير حلية للمرء علم كثير». وقال، عليه السلام: «التبحر في العلم أرفع مكرمة». وكثير من أمثال هذه الكلمات الذهبية صدرت منه في تمجيد العلم، وتكريم حملته.

وأثرت عن رائد الحضارة والتطور الفكري في دنيا الإسلام، الإمام الصادق، عليه السلام، جمهرة من الأحاديث في فضل العلم، والحث على دراسته، قال، عليه السلام: «أطلبوا العلم، وتزينوا معه بالحلم والوقار، وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم، ولا تكونوا علماء جبارين، فيذهب باطلكم بحقكم»[1]. وقال، عليه السلام: «لوددت أَنَّ أصحابي ضربت رؤوسهم بالسياط حتى يتفقهوا»[2].

وأمثال هذه الأحاديث كثيرة، قد وردت عن أئمة الهدى، عليهم السلام، وهي ناطقة بفضل العلم وتعظيم حملته... والقرآن خير شاهد على القيم الرفيعة للعلم والعلماء، قال تعالى: ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾[3] وأي مكرمة أرفع وأسمى من خشية الله تعالى، واتقاء غضبه، وتلك ميزة العلماء... ويقول الزمخشري في تفسيره لسورة (العلق): «لقد علَّم الله سبحانه وتعالى الإنسان ما لم يعلم، وهذا شاهد على عظيم كرمه، إذ أنه وهب

---

(١) أصول الكافي ١/ ٣٦.
(٢) أصول الكافي ١/ ٣١.
(٣) سورة فاطر: آية ٢٨.

عباده علم ما كانوا يجهلون. وقد أخرجهم من ظلمات الجهل إلى نور المعرفة، فجعلهم يدركون بركة معرفة الكتابة، وعظيم نفسها. ومن دون علم الكتابة لا يتم تحصيل أي من العلوم، كما يستحيل تجميع العلوم في حدود معينة، وكذلك علم آثار السابقين، وتدوين حكمهم وأمثالهم. ومن دون علم الكتابة لا يتم تسطير الكتب المقدسة، وما أنزل الله من وحي، ولو أن المعرفة غير متوفرة لبني الإنسان لما انتظمت أمور الدين والدنيا..»[1].

لقد أشاد الرسول (ص) بفضل العلم، ودل أمته على الينبوع الفياض، والقبس المشرق، الإمام أمير المؤمنين، عليه السلام، فقال فيه كلمته الخالدة: «أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب»[2]. وعلق السيد ميرعلي الهندي على الحديث بقوله:

«وهل هنالك من هو خليق بأن يدرك المعاني التي قصد إليها الرسول، صلى الله عليه وآله، أكثر من علي، مع أَنَّهُ صديقه الحبيب، وحواريه الموثوق، وابن عمه، وربيبه البار، وقد كان لتلك التعاليم التي تقطرت فانطبعت في عقل علي الشاب، أن تؤثر ثمارها الزكية، وسرعان ما فعلت»[3].

تطور الحياة العلمية:

وتطورت الحياة العلمية في جميع أنحاء العالم الإسلامي، وازدهرت فيها معالم الحضارة، ونشير ـ بإيجاز ـ إلى بعض مراكز الثقافة والعلم في دنيا الإسلام.

١ ـ يثرب:

أما يثرب فكانت من أهم الجامعات العلمية في ذلك العصر، فقد تشكلت

---

(١) تفسير الكشاف.

(٢) مستدرك الصحيحين: ٣/ ١٢٧ تأريخ بغداد ٤/ ٣٤٨ ـ تهذيب التهذيب: ٦/ ٣٢٠ ـ أسد الغابة: ٤/ ٢٢، وغيرها.

(٣) روح الإسلام (ص ٣٤٥).

فيها مدرستان وهما:

أ ـ مدرسة التابعين:

وعنت هذه المدرسة بعلوم الشريعة الإسلامية، ولم تتجاوزها، وقد ضمت هؤلاء الأعلام، سعيد بن المسيب، عروة بن الزبير، القاسم بن محمد بن أبي بكر، أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، سليمان بن يسار، عبيد الله بن عتبة بن مسعود، خارجة بن زيد، ونظم أسماءهم بعض الشعراء بقوله:

إذا قيل من في العلم سبعة أبحر ... روايتهم ليست عن العلم خارجة
فقل: هم عبيد الله، عروة، قاسم ... سعيد، أبو بكر، سليمان، خارجة

وقال شاعر آخر:

الا كل من لا يقتدي بأئمة ... فقسمته ضيزى عن العلم خارجة
فخذهم: عبيد الله، عروة، قاسم، ... سعيد، سليمان، أبو بكر، خارجة[1]

وعني هؤلاء بتدريس الحديث والفقه، وقد قاموا بدور هام في نشر الثقافة الإسلامية.

ب ـ مدرسة أهل البيت:

وأسس هذه المدرسة أئمة أهل البيت، عليهم السلام، الذين أَضاؤوا الحياة العلمية والفكرية في دنيا الإسلام، ولم تقتصر علومهم على الحديث والفقه، وإنما شملت جميع أنواع العلوم بما فيها الطب، والفيزياء، والكيمياء، والفلسفة.

وقامت هذه المؤسسة بدور مهم في تدوين العلوم وتأسيسها، بعد أن منع بعض الخلفاء تدوين الحديث، زاعماً أن ذلك يؤثر على كتاب الله تعالى، وهو

---

(١) تأريخ أبي الفداء.

اعتذار مهلهل، لا واقع له.

وكان المؤسس الأول لهذه المدرسة الإمام أمير المؤمنين، عليه السلام، رائد الحكمة، والعدالة الإجتماعية في الأرض، ثم من بعده الأئمة الطاهرون من ولده، وقد ازدهرت هذه المؤسسة في عهد الصادقين: الإمام محمد الباقر، والإمام جعفر الصادق، عليهما السلام، وقد انتهل كبار العلماء، وجهابذة الفقهاء، من نمير علومهما.

واتسعت هذه المؤسسة اتساعاً هائلاً في عهد الإمام الصادق، عليه السلام، فقد انضم إليها من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، أربعة آلاف طالب[1]، وفيهم كبار العلماء، وبعض أئمة المذاهب، وقد ازدهرت (يثرب)، وصارت أهم مركز علمي وثقافي في الإسلام، وامتدت موجاتها العلمية الى معظم أنحاء العالم الإسلامي، فقد حمل المتخرجون من مدرسة الإمام ما تلقوه من العلوم، وأخذوا ينشرونه، ويذيعونه في بلادهم.

٢ ـ الكوفة:

وتأتي الكوفة بعد (يثرب)، في الأهمية، فقد كان الجامع الأعظم من أهم المعاهد الإسلامية، فقد انتشرت في بهوه الحلقات الدراسية، وكان الطابع العام لتلك الدراسة هي العلوم الإسلامية من الفقه، والحديث، والتفسير، بالإضافة إلى علوم الفلسفة والكلام.

وقد عنت الكوفة بصورة موضوعية بعلوم أهل البيت، عليهم السلام، فقد روى الحسن بن علي الوشاء قال: أدركت في هذا المسجد ـ يعني مسجد الكوفة ـ تسعمائة شيخ كلٌّ يقول: حدثني جعفر بن محمد[2].

ولم يكن فقه أهل البيت وحديثهم، السائدين في مدرسة الكوفة، وإنما

---

(١) ذكرنا تراجمهم في كتابنا (حياة الإمام الصادق، عليه السلام).
(٢) حياة الإمام موسى بن جعفر (ع).

كان النحو سائداً فيها أيضاً، فقد أنشأت فيها مدرسة النحويين، وكان من أعلامها البارزين الكسائي[1]، وقد عهد إليه الرشيد بتعليم ابنيه الأمين والمأمون... ومن الجدير بالذكر أن علم النحو قد اخترعه، ووضع قواعده وأصله، رائد الحياة العلمية في الإسلام، الإمام أمير المؤمنين، عليه السلام.

٣ ـ البصرة:

أما البصرة فقد كانت من المراكز الثقافية المهمة في ذلك العصر، وأول من شيَّد مدرسة البصرة أبو الأسود الدؤَلي[2] تلميذ الإمام أمير المؤمنين، عليه

---

(١) الكسائي: هو أبو الحسن علي بن حمزة الكوفي، البغدادي المقري النحوي اللغوي، وهو أحد القراء السبعة، وكان من علماء الشيعة البارزين في علم النحو لقب بالكسائي لأنه قد أحرم في كساء، عهد إليه الرشيد بتعليم ولديه الأمين والمأمون، وقد أشرف الرشيد على الكسائي وهو لا يراه فقام الكسائي ليلبس نعله لحاجة يريدها فابتدر الأمين والمأمون فوضعاها بين يديه، فقبل رأسيهما وأيديهما، وأقسم عليهما أن لا يعاودا ذلك فبهر الرشيد، والتفت إلى حضار مجلسه فقال لهم: أي الناس أكرم خادماً فقالوا: أمير المؤمنين أعزه الله فقال: بل الكسائي يخدمه الأمين والمأمون ثم حدثهم بما رآه، توفي الكسائي بالري، وتوفي معه الفقيه محمد بن الحسن الشيباني، فقال الرشيد. دفنا الفقه والعربية بالري، جاء ذلك في الكنى والألقاب ٣/ ٩٢.

(٢) أبو الأسود الدوئلي: هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل، واختلف في إسمه ونسبه اختلافاً كثيراً، كان من سادات التابعين وأعيانهم صحب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وشهد معه وقعة معينة، وهو بصري، وكان من أكمل الرجال رأيا وأسدهم عقلةً، وهو الذي وضع علم النحو، وقد أخذه عن امام المتقين وباب مدينة علم النبي (ص) الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وكان شاعراً مجيداً ومن اشعاره قوله:

وما طلب المعيشة بالتمني ولكن الق دلوك في الدلاء

تجيء بملئها طوراً وطوراً تجيء بحمأة وقليل ماء

تجد ترجمته في وفيات الأعيان ٢/ ٢١٧ وانساب السمعاني ٢/ ٥٠٨.

السلام، وكانت هذه المؤسسة تنافس مدرسة الكوفة، وقد سُمي نحاة البصرة «أهل المنطق» تميزاً لهم عن نحاة الكوفة.

ومن أعلام هذه الصناعة سيبويه الفارسي، وهو مؤلف كتاب «سيبويه» الذي هو من أنضج كتب النحو، ومن أكثرها عمقاً وأصالة، بقول (دي بور): فلو نظرنا إلى كتاب سيبويه لوجدناه عملاً ناضجاً، ومجهوداً عظيماً، حتى أن المتأخرين قالوا: إنه لا بد أن يكون ثمرة جهود متضافرة لكثير من العلماء مثل «قانون ابن سينا»[1].

وكما كانت البصرة ميداناً لعلم النحو، كذلك كانت مدرسة لعلم التفسير، وكان من علمائها البارزين أبو عمرو بن العلاء، وكانت مدرسة لعلم العروض، وقد وضع أصوله الخليل بن أحمد[2] صاحب كتاب العين، وهو أول معجم وضع في اللغة العربية»[3].

---

(١) تأريخ الفلسفة في الإسلام: (ص ٣٩).

(٢) الخليل بن احمد الفراهيدي، كان اماماً في علم النحو، وهو الذي استنبط علم العروض، كان له ابن متخلف، فدخل على ابيه، فراه يقطع بيت شعر بأوزان العروض، فخرج الى الناس وقال لهم:

ان أبي قد جُن، فدخلوا عليه، واخبروه بما قال ولده، فقال مخاطباً له:

لو كنت تعلم ما اقول: عذرتني ... او كنت تعلم ما تقول عذلتكالكف

جهلت مقالتي فعذلتني ... وعلمت انك جاهل فعذرتكا

وكان يتردد اليه شخص، يتعلم منه العروض، ولكنه لم يفهم ما يريده الخليل، فضجر منه، وقال له: قطع هذا البيت من الوافي اذا لم تستطع شيئاً فدعه ... وجاوزه الى ما تستطيع

فشرع فشرع في تقطيعه، وعلم المراد منه، فلم يعد بعد ذلك الى الخليل، وكان دوماً ينشد: واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد ذخراً يكون كصالح

ذلك في وفيات الاعيان ٢/ ١٥ ـ ١٩.

(٣) حياة الإمام الجواد: ص ١٩١.

٤ ـ بغداد:

أما بغداد فقد ازدهرت بالحركات العلمية والثقافية، وقد انتشرت فيها المدارس والمعاهد، ولم يعد هناك شيء أيسر، ولا أبذل من العلم، وقد أصبحت أعظم حاضرة علمية في ذلك العصر، فقد توافد عليها طلاب العلوم، ورواد المعرفة من جميع أقطار الدنيا، يقول (غوستاف لوبون):

«كان العلماء ورجال الفن والأدباء من جميع الملل والنحل، من يونان وفرس، وأقباط، وكلدان، يتقاطرون إلى بغداد، ويجعلون منها مركزاً للثقافة في الدنيا، قال أبو الفرج عن المأمون: إنَّهُ كان يخلو بالحكماء، ويأنس بمناظرتهم، ويلتذ بمذاكرتهم، علماً منه بأن أهل العلم هم صفوة الله من خلقه[١].

ويقول (نيكلسون): «وكان لانبساط رقعة الدولة العباسية، ووفرة ثروتها، ورواج تجارتها، أثر كبير في خلق نهضة ثقافية لم يشهدها الشرق من قبل، حتى لقد بدا أن الناس جميعاً من الخليفة إلى أقل أفراد العامة شأناً، غدوا فجأة طلاباً للعلم، أو على الأقل، أنصاراً للأدب، وفي عهد الدولة العباسية كان الناس يجوبون ثلاث قارات، سعياً إلى موارد العلم والعرفان، ليعودا إلى بلادهم كالنحل يحملون الشهد إلى جموع التلاميذ المتلهفين[٢].

لقد علل (نيكلسون) انتشار النشاط العلمي، والثقافي في العالم الإسلامي، خصوصاً في عاصمته بغداد، بسعة الدولة الإسلامية، ورواج تجارتها، وهو تعليل غير وثيق، فإن ذلك لا يوجب ذيوع العلم وانتشاره، وإنما السبب يعود إلى الرسول الأعظم، صلى الله عليه وآله، وأوصياؤه المجدون الذين جعلوا طلب العلم فرضاً لازماً على جميع المسلمين.

---

(١) حضارة العرب.

(٢) تاريخ الاسلام: ٢- ٣٢٣.

٥ ـ القاهرة:

وبرزت في القاهرة الحياة العلمية بصورة متسعة في عهد المعز لدين الله، فقد أنشأت فيها «دار الحكمة» كما أُنشيءَ فيها «الأَزهر الشريف»، وذلك في عهد الخلفاء الفاطميين، وقد ازدهرت فيها العلوم والفنون، وساهمت بصورة إيجابية وفعالة في تقدم العالم الإسلامي، وازدهار حضارته.

هذه بعض مراكز العلم وأكاديمياته في العالم الإسلامي، وقد عم شذاها العاطر جميع طلاب العلوم، والمعارف.

المكتبات:

وأسست في معظم المعاهد، والمدارس، المكتبات العامة التي هي من مصادر الوعي والنور، وكان من أبرز المكتبات التي أقيمت في دنيا الإسلام، هي مكتبة «بيت الحكمة» فقد نقل إليها الرشيد مكتبته الخاصة، وأضاف إليها من الكتب ما جمعه جده المنصور، وأبوه المهدي، وفي عهد المأمون طلب من أمير (صقلية) بعض الكتب العامة والفلسفية، فلما وصلت إليه، نقلها إلى مكتبة (بيت الحكمة)، كما جلب إليها من (خراسان) الكثير من الكتب، وكان لا يسمع بكتاب إلا جلبه إليها[1]، وظلت هذه الخزانة التي هي من أثمن ما في العالم، قائمة تمد البحاث ورجال العلم بما يحتاجون إليه، فلما سقطت الدولة الإسلامية صريعة بأيدي السفاك المغول على بغداد، وعمد إلى إتلافها، وبذلك فقد خسر العالم الإسلامي أعظم تراث له.

وعلى أي حال فإن إنشاء المكاتب العامة في البلاد الإسلامية، جزء لا يتجزأ من رسالة الإسلام الهادفة إلى نشر الوعي العلمي، والثقافي في بلاد المسلمين.

---

(١) ذكرنا عرضاً مفصلة للمكتبات القائمة في العالم الإسلامي في كتابنا (حياة الإمام الرضا، عليه السلام).

تطور العلوم:

ومن بين الأهداف الأصيلة للإسلام تطور العلوم، ونشرها بين المسلمين، وقد بلغ التطور والتقدم أقصاهما في العصر العباسي، فقد اخترع المقنع الخراساني قمراً يطلع ويراه الناس من مسيرة شهرين، ثم يغيب عنهم، وفيه يقول المعري:

أفق إنما البدر المقنع رأسه ضلال وغي مثل بدر المقنع[1]

ويقول فيه أبو القاسم هبة الله بن سناء الملك:

إليك فما بدر المقنع طالعاً بأسحر من ألحاظ بدر المعمم[2]

كما أوضح ابن الهيثم لأول مرة في تأريخ العالم، أن أشعة الضوء ترد إلى العين من الأجسام الخارجة عنها، وليست تصدر من العين لتصطدم بالأجسام الخارجية، ثم تعود ثانية كما كان يعتقده الإغريق، وهو الذي قرر أن الشبكية هي مركز الإبصار، كما أثبت أن الصور المنطبعة عليها تنتقل إلى الدماغ عن طريق العصب البصري. وقد فسر ظواهر رؤية المنظر الواحد بتكون مناظر مرئية على أجزاء متناسبة من الشبكتين، كما أنه اكتشف أن انعكاس الضوء يتأثر بكثافة الجو وأنَّ كثافة الجو تتأثر بالإرتفاع[3].

وكان من تطور العلوم في الإسلام، هو ما اخترعه جابر بن حيان، مفخرة الشرق وتلميذ الإمام الصادق، الدماغ المفكر للإنسانية، من صنوف المخترعات المذهلة، ويعتبر الأب لعلم الكيمياء الحديثة.

أما مكتشفات أبناء موسى بن شاكر وهم: محمد، وأحمد، والحسن، فيما يتعلق بتطور حركات الشمس والنجوم، فهي تنطبق تماماً على ما توصل

---

(١) الأعلام: ٥/ ٢٩.
(٢) وفيات الأعيان: ٢/ ٣٩٣.
(٣) روح الإسلام: (ص ٣٦٣).

إليه العلم الحديث، فقد اكتشفوا دوران الأرض حول الشمس، كما قاموا بحساب حجم الأرض عن طريق قياس درجة عرضية على ساحل البحر الأحمر، في وقت كانت (أوروبة) تجزم بأن الأرض منبسطة غير مستديرة.

ومن تطور العلوم في الإسلام: ما اخترعه أبو الحسن، فقد اخترع (التلسكوب)، وقال عنه: إنه أنبوب أثبتت عدستان إلى طرفيه، وجاء بعده من طور تلك الأنابيب، وقد استعمل (التلسكوب) في مرصدي القاهرة[1].

وعلى أي حال فإن الإسلام يدعو بصورة إيجابية ملحة إلى تطوير العلوم، وازدهارها، وتسليح المسلمين بجميع أنواع العلوم، ليكونوا رواد الشعوب إلى حياة كريمة، تتوفر فيها جميع ألوان المعرفة والعلوم.

لقد أكدت البحوث الحديثة في علم النفس والإجتماع أن الجهل، ونقص التعليم الثقافي، من الجراثيم الفتاكة في المجتمع، فالمجتمع المتخلف علمياً يمنى بكثير من الإنحرافات وتتفشى فيه المعتقدات الخرافية، ولذلك ألزم الإسلام بالعلم، وجعله عنصراً مهماً في حياة المسلمين.

---

(١) روح الإسلام: ص ٣٥٩ ـ ٣٦٠.

وحدة المسلمين وتضامنهم

من أبرز الأنظمة الإجتماعية التي رفع شعارها الإسلام، هي الوحدة الشاملة بيْن المسلمين، فقد عنى بها الرسول، صلى الله عليه وآله، عناية بالغة، واهتم بها قبل تنفيذ أرصدته الروحية والفكرية، وجعلها منهجاً من مناهج الحياة الإسلامية الأصيلة، واعتبرها المسلمون جزءاً لا يتجزأ من حياتهم العقائدية.

لقد استطاع الرسول الأعظم، صلى الله عليه وآله، أن يجذب المجتمع، ويقيم فيه وحدة أخلاقية، لا تقوم على العاطفة، وإنما تقوم على الإيمان الذي يمتد إلى أعماق القلوب، ودخائل النفوس... لقد آخى بين المسلمين أخوة هي أقوى، وأعمق بكثير من رابطة الدم والنسب، وقد آخى بصورة رائعة بين أصحابه، حتى لم يبق أحد منهم إلا جعل له أخاً يغايره في نسبه، أو في قوميته، وبقي، صلى الله عليه وآله، وحده فآخى بينه وبين باب مدينة علمه، الإمام أمير المؤمنين، عليه السلام، وقال في ذلك مقالته المشهورة: «يا علي أنت أخي في الدنيا والآخرة...»[1].

إن الإمام أمير المؤمنين، عليه السلام، أخو النبي، صلى الله عليه وآله، وساعده الذي وقف إلى جانبه، يصد عنه اعتداء المعتدين، ويحميه من القوى الغادرة التي أرادت الفتك به.

تشريعات مهمة:

---

(١) صحيح الترمذي، ٢/ ٢٩٩ ـ مستدرك الحاكم: ٣/ ١٤ ـ وقريب منه في (طبقات ابن سعد): ٨/ ١١٤، ومسند الإمام أحمد بن حنبل: ١/ ٢٣٠، وكنز العمال: ٦/ ٤٠٠، والرياض النضرة: ١/ ١٥، وتأريخ بغداد: ١٢/ ٢٦٨.

وأحاط الإسلام الوحدة الإسلامية بتشريعات مهمة تصونها من الإنحلال والتفكك، وتعقد أواصر المودة والمحبة بين المسلمين، وكان من بينها ما يلي:

صلاة الجماعة:

أما صلاة الجماعة فهي مظهر رائع لوحدة المسلمين وتضامنهم، وتهذيب سلوكهم، فهي تتكرر في كل يوم خمس مرات، يجتمع فيها المسلمون على صعيد واحد، لأداء هذه الفريضة الروحية الفريدة في عطائها وثمراتها، والتي منها ترابط المسلمين وتعارفهم، ومعونة غنيهم لفقيرهم، وعيادة أصحائهم لمرضاهم، وغير ذلك من الفوائد العظيمة، والمنافع الجليلة.

صلاة الجمعة:

أما صلاة الجمعة فإنها تجب في الأسبوع مرة واحدة، وهي تضم جميع أبناء البلد الواحد، فالذي يراهم يرى قوة واحدة متماسكة مترابطة قد اتجهت بقلوبها وعواطفها نحو الله تعالى، خالق الكون وواهب الحياة.

أما عواصم الأقاليم الإسلامية التي تضم ملايين المسلمين فإن المصلين يتجاوزون مئات الآلاف، ومنظرهم في حال الصلاة من أعظم المناظر التي ترهب القوى المعادية للإسلام، وفي الوقت نفسه، فإنها تحثّ على ترابط المسلمين، وشيوع المودة والمحبة فيما بينهم، ومن عوائدها ما يلقيه إمام الجمعة من خطب الوعظ والإرشاد التي تجلو القلوب، وتصلح الضمائر، وما يلقيه عليهم من الأحداث السياسية والإجتماعية التي ألمت بهم وبالمسلمين.. فصلاة الجمعة مدرسة سياسية، ومعهد للتربية والأخلاق.

صلاة العيدين:

أما صلاة العيدين: عيد الفطر، وعيد الأضحى فلا تقل أهمية عن صلاة الجمعة، فهي مصدر تعارف، وتوادد بين المسلمين، كما أنها من الأسباب

الوثيقة لنشر الوعي الديني والسياسي بين المسلمين، وذلك لما يلقيه إمام الجمعة في خطابه، بعد الصلاتين، من تعريف المسلمين بما ألم بهم من المشاكل السياسية، أو الإجتماعية التي في بلادهم، وفي سائر أنحاء الوطن الإسلامي.

مؤتمر الحج:

الحج من الفروض الإسلامية المهمة التي تبعث على تضامن الأمة الإسلامية، وتبادل الخبرات والمنافع بين أبنائها، وهو أعظم مؤتمر عالمي يعقد في بيت الله الحرام، يجمع بين أبناء المسلمين على اختلاف قومياتهم، ولغاتهم، ليتعارفوا على مشاكلهم السياسية، والإجتماعية، وما ألم بهم من الأحداث، بالإضافة إلى ما يكسبونه من الخبرات الإجتماعية التي تفتح لهم آفاقاً مشرقة من المعرفة في جميع حقول الحياة من التجارة، والصناعة، وسائر الحرف الأخرى التي يجلبونها إلى بلادهم بعد قفولهم من الحج.

الحث على الوحدة:

وحث الإسلام، بصورة إيجابية وشاملة، على وحدة المسلمين واتحادهم، واعتبر ذلك عنصراً مقوماً لحياتهم، ومجدهم، وكرامتهم، فبالوحدة يكونون قوة ضاربة، لا يغلبهم غلاب، ولا يطمع في ثرواتهم طامع، ولا يغزو بلادهم مستعمر، وبالوحدة يُصانون من الذل والهوان، والفقر والحرمان، ونعرض إلى بعض ما أثر عن الإسلام في الحث عليها.

في ظلال القرآن الكريم:

وتتابعت الآيات في القرآن الكريم، التي تلزم المسلمين بالوحدة فيما بينهم، وتبني عليها واقع حياتهم، وتسدّ كل ثغرة يسلك فيها لتفريقهم، إستمعوا إلى بعض الآيات.

١ ـ قال الله تعالى: ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا**

نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴾[1] .

إن الإعتصام بحبل الله، هو الوسيلة إلى الوحدة التي هي الحصن المنيع لحفظ المسلمين، وارتفاع كلمتهم، وسلامتهم من كيد الكائدين، وعبث المعتدين، وفي ذلك يقول السيد قطب: «وكذلك تجيء الدعوة إلى الوحدة بعد الدعوة إلى الإسلام، فالوحدة في الله هي جوهر العقيدة الإسلامية، والإرتباط بحبل الله هو وسيلة الوحدة. . والتعبير يسميه اعتصاماً، فيرسم صورة الإلتجاء من خطر الفرقة إلى عصمة الوحدة، إنها عملية احتماء والتجاء، واعتصام، والحياة الدنيا متاهة، متاهة شهوات، ومتاهة عداوات، والإعتصام بحبل الله فيها عصمة، والإلتجاء إليه فيها نجوة. . هذا الحبل هو شريعة الله، وتقوى الله، والتحاب في الله، والاتجاه إلى الله، فكلها تؤدي إلى التماسك حول محور واحد، والتجاذب بجاذبية واحدة، والإتجاه إلى قبلة واحدة، والتجمع حول هدف واحد، تسعى له الأمة كلها، وتتوخاه.

ويذكر الله المسلمين بنعمته عليهم، نعمة تأليف القلوب، ورأب الصدع، والإرتفاع على حزازات الصدور، والتفاني في غاية أسمى من الشخصيات الزائلة، والأمجاد الفارغة، والفخر بالعصبيات والإنسان، وإنها لمعجزة تلك التي تحول شتات العرب في جاهليتهم وحدة، وعداوتهم في الجاهلية مودة، وتربط على قلوبهم هذا الرباط الذي لم تشهد له البشرية من قبل، أو من بعد، نظيراً»[2] .

٢ ـ قال الله تعالى: ﴿ **إنَّ هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾**[3] . إنها أمة واحدة في عقيدتها، تعبد الله وحده، ولا تشرك به شيئاً، فأي رباط أقوى من هذا الرباط، وبذلك تبني الأمة المسلمة لها مجداً

---

(١) سورة آل عمران: آية ١٠٣ .
(٢) في ظلال القرآن: ٤/ ١٤ .
(٣) سورة الأنبياء: آية ٩٢ .

شامخاً، وتحتل لها مكانة مرموقة تحت مركز الشمس.

٣ ـ قال الله تعالى: ﴿ **إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون**... ﴾[١].

ويترتب على الأخوة التي عقد أواصرها الإسلام، أن يسود فيها الحب والسلام، وأن تكون المودة فيها نافذة إلى أعماق القلوب، ودخائل النفوس، وإذا وقع بين أبناء الأمة خلاف أو قتال، فيجب على الأمة أن تسعى جاهدة إلى إخماده وإصلاحه، وأن تسد جميع الثغرات، ولا يكون هناك أي منفذ يسلك منه الأعداء، لإفساد الأخوة الإسلامية.

هذه بعض الآيات الكريمة التي أشادت بالوحدة الإسلامية، واعتبرتها من العناصر المقومة للحياة الإسلامية، لا تستقيم من دونها.

في رحاب السنة:

وأثرت عن أئمة الهدى، عليهم السلام كوكبة من الأخبار، وهي تلزم المسلمين بالتماسك، والوحدة فيما بينهم، وأن يكونوا يداً واحدة على من سواهم، لترتفع كلمتهم، ويكونوا سادة الأمم، استمعوا إلى ما يقوله رائد الحضارة والفكر في دنيا الإسلام، الإمام الصادق، عليه السلام:

١ ـ قال عليه السلام: «المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد، إن اشتكى شيئاً منه، وجد ألم ذلك في سائر جسده، وأرواحهما من روح واحدة، وإن روح المؤمن لأشد اتصالاً بروح الله من اتصال شعاع الشمس بها»[٢].

وأَيَّةُ رابطة أقوى وأكثر تماسكاً، من هذه الرابطة التي تقوم على وحدة المبدأ والعقيدة، فتجعل المجتمع بجميع شرائحه جسماً واحداً متكاملاً، فإذا تألم بعضه، سرى الألم العاصف إلى بقية الجسد كله.

---

(١) سورة الحجرات: آية ١٠.

(٢) أصول الكافي: ٢/ ١٦٦.

٢ ـ قال عليه السلام: «إنما المؤمنون إخوة، بنو أب وأم، وإذا ضرب على رجل منهم عرف سَهَرَ له الآخرون. . . »[١]

وأكد هذا الحديث الشريف الأخوة بجميع رحابها بين المؤمنين، وإنها تمتد إلى أعماق القلوب، وتنفذ إلى جميع أجزاء الجسد، فإذا اعتدي على واحد منهم، سرى الإعتداء إلى الجميع.

٣ ـ قال عليه السلام: «المسلم أخو المسلم، هو عينه ومرآته، ودليله، لا يخونه، ولا يخدعه، ولا يظلمه، ولا يكذبه. . . »[٢]

إن جميع ثمرات الأخوة النسبية تترتب على الأخوة الإسلامية، فالمسلم أخو المسلم بجميع ما تحتويه الأخوة من معنى، وبذلك يتكون المجتمع السليم الذي تتوفر فيه جميع عناصر القوة والإزدهار.

التماسك الإجتماعي:

لقد أوجد الإسلام روح التماسك بين أبناء المسلمين، وجعلهم وحدة تأريخية متكاملة، وذلك بفضل ما سنه من الأنظمة الخلاقة، والتعاليم الرائعة التي تجمع وتوحد صفوفهم، وكان من بين ما سنه:

○ إلغاء التمايز العنصري:

وأعلن الإسلام منذ فجر تأريخه، إلغاء التمايز العنصري، واعتبره ضرورة إجتماعية لا تستغني عنها الحياة، ولا تستقيم من دونها، فإن التمايز ينم عن مجتمع متخلف فاقد لعناصر الوعي والفكر.

إن الإسلام نظر إلى المجتمع الإنساني بعمق وشمول، فلم يميز عنصراً على عنصر، ولا قوماً على آخرين، يقول الرسول الأعظم، صلى الله عليه وآله: «لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على أسود، كلكم لآدم، وآدم من

---

(١) أصول الكافي: ٢/ ١٦٥.
(٢) أصول الكافي: ٢/ ١٦٦.

تراب» على هذا الأساس المتميز، بالأصالة والوعي، أقام الإسلام مجتمعه الذي أمد العالم بجميع مقومات الإرتقاء، والنهوض.

إنَّ إلغاء التمايز العنصري الذي رفع شعاره الإسلام، يحقق التعايش السلمي بين جميع الشعوب، ويحطم الفوارق والإمتيازات، ويجمع الناس على صعيد المحبة والإخاء، يقول (جيب):

«إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي ما زال في قدرته أن ينجح نجاحاً باهراً في تأليف العناصر والأجناس البشرية المتنافرة، في جبهة واحدة أساسها المساواة، وإذا وضعت منازعات الشرق والغرب موضع الدرس، فلا بد من الإلتجاء إلى الإسلام»[1].

وكانت هذه الظاهرة موضع إعجاب كثير من شعوب العالم: يقول (جواهر لال نهرو):

«إن نظرية الأخوة الإسلامية والمساواة التي كان المسلمون يؤمنون بها، ويعيشون فيها، أثرت في أذهان الهندوس تأثيراً عميقاً، وكان أكثر خضوعاً لهذا التأثير البؤساء الذين حرم عليهم المجتمع الهندي المساواة، والتمتع بالحقوق الإنسانية»[2].

ويقول الفيلسوف الانجليزي (توماس كارلايل):

«إنَّ في الإسلام خلة من أشرف الخلال، وأحبها، وهي المساواة بين الناس»[3] إن الإسلام قضى على جميع الفوارق الجنسية التي هي المصدر في تناحر الطبقات وتصارعها... وقد ضرب أئمة الهدى عليهم السلام، للناس أمثلة عملية على إلغاء التمايز العنصري، فقد اعتق الإمام سيد الساجدين زين العابدين، عليه السلام، جارية له، وبعد عتقها تزوج بها، وقد انتهز ذلك عبد الملك بن مروان الذي كان يمثل الخط الجاهلي، فبعث رسالة للإمام (ع)،

---

(١) حينما يكون الإسلام.

(٢) و (٣) نظام الإسلام السياسي: (ص ٢٠٣).

يندد فيها بصنعه، ويعيب عليه ذلك، وهذه رسالته:

«أما بعد: فقد بلغني تزويجك مولاتك، وقد علمت أنه كان في أكفائك من قريش، من تمجد به في الصهر، وتستنجبه من الولد! فلا لنفسك نظرت، ولا على ولدك أبقيت، والسلام..».

ولما قرأ الإمام هذه الرسالة، أجابه بالرسالة الآتية التي تمثل مبادىء الإسلام وجوهره، وهذا نصها:

«أما بعد.. فقد بلغني كتابك، تعنفني بتزويجي مولاتي، وتزعم أنه كان في نساء قريش من أمجد به في الصهر، واستنجبه في الولد، وأنه ليس فوق رسول الله، صلى الله عليه وآله، مرتقى في المجد، ولا مستزاد في كرم، وإنما كانت ملك يميني خرجت مني بأمر، أراده الله، عز وجل، التمست فيه ثوابه، ثم ارتجعتها على سنته، ومن كان زكياً في دينه، فليس يخل فيه شيء من أمره.

وقد رفع الله بالإسلام الخسيسة، وأتم به النقيصة، وأذهب اللوم، فلا لوم على امرىء مسلم، إنما اللوم لوم الجاهلية»[1].

ومثلت هذه الرسالة روح الإسلام وجوهره الذي حطم أسس الجاهلية، وقضى على معالمها العفنة، فأي نقص على الإمام حينما تزوج بأمة مسلمة قد أعتقها، فإنه لم يجاف بذلك كتاب الله، ولا سنة نبيه، فقد زوج، صلى الله عليه وآله، ابنة عمته زينب من غلامه ومملوكه وعتيقه زيد بن حارثة، وقد قضى (ص) بذلك على سنة التعالي بالأنساب. يقول، صلى الله عليه وآله:

«كلكم بنو آدم، وآدم من تراب، ولينتهين قوم يفخرون بآبائهم، أو ليكونن أهون على الله تعالى من الجعلان...»[2].

يقول الإمام زين العابدين، وسيد المتقين، عليه السلام:

«إنَّ الله خلق الجنة لمن أطاعه، ولو كان عبداً حبشياً، وخلق النار لمن

---

(١) حياة الإمام موسى بن جعفر (ع): ١/ ١٣ ـ ١٤.
(٢) تفسير ابن كثير سورة الحجرات.

عصاه، ولو كان سيداً قرشياً . . . ».

ويقول الرسول الأعظم، صلى الله عليه وآله، مخاطباً لأسرته الكريمة:

«يا بني هاشم! لا يأتيني الناس بأعمالهم، وتأتوني بأنسابكم تقولون: نحن ذرية محمد، صلى الله عليه وآله . . . ».

لقد قضى النبي (ص) على أداء التفاخر بالأنساب الذي كان سائداً في ذلك العصر، يقول مخاطباً بعض أصحابه:

«أنظر فإنك لست بخير من أحد، ولا أسود، إلا من تفضله بتقوى الله . . . ».

وخاصم عبد أسود من فقراء المسلمين، عبد الرحمن بن عوف، وهو من الشخصيات اللامعة في عصره، فغضب عبد الرحمن منه، وقال له: «يا بن السوداء!».

ولما سمع النبي، صلى الله عليه وآله، ذلك تميز غيظاً، ورد على ابن عوف قائلاً: «ليس لابن بيضاء على ابن سوداء سلطان إلا بالحق . . . »[1]

إنَّ التفاخر بالعنصرية، إنما هو سلاح الضعفاء الذين حرموا من موهبة العمل، وموهبة الإيمان، وقد ناهض الإسلام هذه الظاهرة الخبيثة التي تلقي الناس في شر عظيم.

المساواة الرائعة:

وأعلن الإسلام منذ فجر تأريخه، المساواة الرائعة والعادلة بين جميع المسلمين، فلم يميز شعباً منهم على شعب، ولا قوماً على قوم آخرين، فالناس كلهم عباد الله، وأفضلهم عنده أكثرهم تقوى وعائدة على عباده، ونعرض ـ بإيجاز ـ إلى بعض صور تلك المساواة:

○ المساواة أمام القانون:

---

(١) نظام الاسلام السياسي (ص ٢٠٨).

أما المساواة بين الناس أمام القانون، فإنها عنصر أساسي من عناصر الرسالة الإسلامية الهادفة إلى تحقيق العدالة الاجتماعية، والقضاء على الغبن الإجتماعي. . لقد سئل صلى الله عليه وآله، أن يعفو عن سارقةٍ لشرف أسرتها فأجاب:

«إنما هلك من كان قبلكم، لأنهم كانوا إذا أذنب الضعيف فيهم عاقبوه وإذا أذنب الشريف فيهم تركوه، والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها. .».

بمثل هذه الصرامة في العدل، يتحقق الأمن، ويُقصى الغبن والإعتداء، وينعم الناس في حكم لا ظل فيه للمحسوبية، وغيرها من الأمور التي مرجعها إلى التراب.

ومن مظاهر هذه المساواة، تقديم الخلفاء، والولاة، وسائر الوجوه، إلى ساحة القضاء، فيما إذا كان لهم خصم أو دعوى عليهم، فهذا الإمام أمير المؤمنين، عليه السلام، في الإسلام، في أيام خلافته، فقد درعاً وجده عند يهودي ادَّعىٰ ملكيته، فرفع الإمام أمره إلى القاضي، فحكم لصالح اليهودي فما تأثر، وانصاع للحكم.

وفي أيام حكومة عمر، خاصم الإمام، عليه السلام، يهودياً، فقال له عمر: «قم يا أبا الحسن مع خصمك. .». .

فالتاع الإمام، وتغير وجهه الشريف، والتفت إليه عمر بعد انتهاء المرافعة فقال له:

«يا أبا الحسن! لعله ساءك أمري أن تقف مع خصمك اليهودي؟. . .».

فأجابه الإمام بمنطق الحق والعدل قائلاً:

«كلا، وإنما ساءني أنك كنيتني، ولم تساو بيني وبين خصمي، والمسلم واليهودي أمام الحق سواء. .».

أرأيتم هذه العدالة الكبرى التي أعلنها باب مدينة علم النبي، صلى الله عليه وآله؟! حقاً إنها تنفي الظلم والجور، وتقيم مجتمعاً سليماً منعماً بالعزة والكرامة. . . ونشير إلى بعض الصور الرائعة من المساواة في القضاء، وهي:

١ ـ التسوية بين الخصمين في السلام: فليس للقاضي أن يخص أحدهما بالسلام، ويعرض عن الآخر، وإذا سلما عليه معاً يجب أن يرد عليهما السلام معاً، كما يجب عليه أن يساوي بينهما في أداء التحية والتكريم.

٢ ـ المساواة بينهما في الكلام: فليس له أن ينطلق مع أحدهما في كلامه، ويسكت عن الآخر.

٣ ـ المساواة بينهما بالاذن في الدخول: وليس له أن يأذن لأحدهما، ويحجب الآخر.

٤ ـ التسوية بينهما في الحفاوة والتكريم.

٥ ـ التساوي بينهما في المجلس: فليس له أن يرفع أحدهما في المجلس، ويخفض الآخر، بل يتساويان في الجلوس أمامه.

٦ ـ التسوية بينهما في طلاقة الوجه.

٧ ـ الاستماع لكلٍ منهما: وليس له أن يسمع كلام أحدهما، ويعرض عن كلام الآخر.

٨ ـ أن يستعمل الإنصاف والعدل بينهما على حد سواء.

ويستحب للقاضي أن يساوي بينهما حتى في الميل القلبي، ويكره له أن يخص أحدهما بالخطاب، وذلك لما فيه من الترجيح له الذي أقل مراتبه الكراهة[1].

إن هذه المساواة العادلة التي شرعها الإسلام في عالم القضاء، ولا يوجد لها مثيل في سائر الأنظمة الأخرى التي فقدت التوازن والعدل، ولم تساو بين

---

(١) اللمعة الدمشقيّة: (كتاب القضاء).

الناس، وإنما ميزت بعضهم على بعض.

التشريعات الحديثة:

أما التشريعات الحديثة، فقد ابتعدت معظمها عن روح العدل، والمساواة بين الناس، وهذه بعض الأمثلة على ذلك:

أ ـ تمييز رئيس الدولة:

وميزت جملة من الأنظمة القائمة في العالم، رئيس الدولة على غيره، سواء أكان ملكاً، أم رئيساً للجمهورية، فلا يخضع للقانون بحجة أنه مصدر السلطات العليا في البلاد، وأنه مصدر القانون، فلا يخضع له، وقد اعتبر ذلك الدستور الدانمركي، والدستور الإسباني قبل إعلان الجمهورية، ونصَّ الدستور الإنجليزي على أن الملك مصون ومقدس، لا يسأل عن أي شيء اقترفه، وفي الدستور البلجيكي والمصري، قبل إعلان الجمهورية، أن ذات الملك لا تمس بسوء، وكذلك كان الحال في (إيطالية) و(رومانية)، قبل إلغاء النظام الملكي.

وقد استمر الوضع على صيانة الملك وعدم مسؤوليته عن أي خيانة، أو جرم يرتكبه تجاه الشعب، إلا أن الدستور الفرنسي اعتبر مسؤولية رئيس الجمهورية في حالة واحدة، وهي الخيانة العظمى للشعب، وأجاز دستور (تشيكوسلوفاكية) التحقيق مع رئيس الجمهورية في حالة الخيانة العظمى... هذه بعض الدول التي ميزت رئيس الجمهورية، أو الملك، عن كل ذنب يقترفه.

ب ـ تمييز رؤساء الدول الأجنبية:

وتعفي كثير من القوانين الحديثة، رؤساء الدول الأجنبية، ملوكاً أو رؤساءً، من أَنْ يحاكموا على ما يقترفونه من الجرائم الأخلاقية، وغيرها، في أي بلد آخر غير بلادهم، سواء دخلوه بصفة رسمية، أو غيرها، وهذا الإعفاء يشمل جميع حاشية الملك، ورئيس الجمهورية، ودليل الواضعين لهذا القانون أن محاكمة هؤلاء لا تتفق مع ما يجب من تكريم الضيف، والإحتفاء به، وهذا

الدليل لا يستقيم مع المنطق، لأن رئيس الدولة وحاشيته الذين يلقون بأنفسهم إلى هذا المستوى السحيق، قد خرجوا عن قواعد الضيافة والإحترام.

ج ـ تمييز السلك الدبلوماسي:

وعفت القوانين الوضعية، أفراد السلك الدبلوماسي، الذين يمثلون دولهم في الخارج، من المسؤولية لو اقترفوا بعض الجرائم، وحجة الواضعين لهذا القانون أن الممثلين السياسيين يمثلون دولهم في الدولة التي يعملون في أرضها، وليس لها حق العقاب عليهم، كما ليس لها الحق في محاكمتهم، لأن ذلك يؤدي إلى تعطيل أعمالهم، وهذه الحجة واهية، فإن الممثلين السياسيين ليسوا إلا أفراداً من رعايا دولة أجنبية، وأن لها حق العقاب على من يرتكب جريمة في أرضها، ولا يمكن أن يعطل القانون على الممثل السياسي إذا لم يحترم القانون، ولا يطيعه.

د ـ تمييز أعضاء الهيئة التشريعية:

وعفت القوانين الوضعية ممثل الشعب في البلاد النيابية، من العقاب على ما يصدر منه من أقوال، أثناء تأدية وظيفته، وإن كانت تلك الأقوال مجافية لكرامة الآخرين، وقد أخذ الدستور المصري بهذا القانون، فمنع من مؤاخذة أعضاء البرلمان على ما يبدونه من أفكار[1].

ومعنى هذا الإعفاء، عدم مسؤولية أعضاء البرلمان على ما يصدر منهم من أقوال، أو كتابة تمس كرامة الآخرين، أو كرامة البلد، وهذا اعتداء صارخ على الغير، ولا يسري هذا القانون على مجالس المديريات العامة، فليس لأعضائها حق التمتع بمثل هذه الحصانة.

هـ ـ تمييز الأغنياء:

وميزت بعض القوانين الوضعية الأغنياء على الفقراء، ومن أمثلة ذلك، ما نص عليه قانون تحقيق الجنايات في (مصر)، على أن للقاضي أن يحكم

---

(١) المادة ١٠٩ من الدستور المصريّ.

بالحبس في كثير من الجرائم، ولكن إذا قدم المحكوم عليه كفالة مالية، أجل تنفيذ الحكم عليه حتى تنظر في قضيته محكمة الإستئناف، وإذا لم يتمكن من دفع الكفالة المالية، حبس، ولا ينتظر نتيجة محكمة الإستئناف[1].

وفي هذه المادة خروج على مبدأ المساواة بين المواطنين، فإن الغني يستطيع أن يدفع كفالة مالية، ويتخلص من السجن، بينما الفقير يعجز عن دفعها في أغلب الأحوال، فيزج في السجن... كما أجاز قانون تحقيق الجنايات المصري للمتهم المحبوس أن يعترض على حبسه، وللقاضي أن يفرج عنه بضمان مالي[2]. وفي هذه المادة أيضاً خروج على مبدأ المساواة، فإن الغني يستطيع دفع الضمان المالي دون الفقير.

و ـ تمييز الشخصيات البارزة:

وميزت بعض القوانين الوضعية الشخصيات البارزة في المجتمع على غيرهم، ومن أمثلة ذلك أن القانون المصري، أجاز رفع الدعوى عن المتهم، إذا كان من ذوي النفوذ كالمحافظ، أو الحاكم، أو العضو في البرلمان، أو الضابط في الجيش، فإن الدعوى لا تقام عليهم إلا بعد الإستئذان من الجهات العليا، ويجوز للمحكمة أن تحفظ القضية، وتكتفي بجزاء إداري عليه، وبه ينجو من العقوبة الإدارية، ومثل هذا الإجراء لا يتخذ بالنسبة إلى أفراد الشعب العاديين.

ومن أمثلة ذلك أيضاً أن القانون المصري أجاز لمن وقع عليه ضرر من قبل الدولة، أن يطالب بتعويض ما أصابه من الضرر، وعلى المحاكم حين تقديرها للتعويض، أن تراعي مركز الشخص وأهميته، مثلاً لو أن مدير شركة، وعاملاً في نفس الشركة، أصيبا في حادث واحد، بإصابات مماثلة، فطالبا بالتعويض، فإن تعويض مدير الشركة يكون ضخماً، والتعويض الذي يحكم به للعامل يكون تافهاً... وقد أدلى بهذه الجهات عبد القادر عودة، وعلق عليها

---

(١) تحقيق الجنايات المصري) المادة ١٠٨.
(٢) تحقيق الجنايات المصري من ١٠٤ ـ ١١٠.

بقوله:

«هذه هي نظرية المساواة كما تطلع علينا بها القوانين الوضعية الحديثة، لا تزال مهيضة الجناح، مقصوصة الأطراف، لم تسو بين الرؤساء والمرؤسين، والحاكمين والمحكومين، ولم تسو بين الفرد والفرد، ولا بين الجماعة والجماعة، ولا بين الغني والفقير»[1].

إن هذه القوانين قد ميزت بين الناس، وجعلتهم طبقات، كما أوجبت انهيار المساواة، وتحطيم أسس العدالة.

إنَّ الإسلام ساوى بين جميع الطبقات، وجعلهم سواسية أمام القانون، فليس في الإسلام رجال، مهما كانت منزلتهم، لا يخضعون للقانون، ولا يطبق عليهم.

المساواة في الضرائب:

إنَّ الضرائب المالية التي فرضها الإسلام في أموال المسلمين كالزكاة، والخمس، وغيرهما، تجب على كل مسلم ومسلمة، ويتساوى الجميع في دفعها، فلا يعفى عنها شخص، وتختص بآخر.

المساواة في التوظيف:

إن قواعد العدل والمساواة التي أعلنها الإسلام، توجب المساواة في التوظيف في جهاز الدولة، فلا يختص به شخص دون آخرين، فجميع من تتوفر فيهم الإمكانيات والشرائط، يتساوون في ذلك، ولا أثر للمحسوبية، وغيرها من الأمور التي توجب تأخر البلاد، وشيوع الإضطراب فيه.

المساواة في الواجبات الإسلامية:

ويتساوى جميع المسلمين فيما فرضه الله عليهم من الواجبات كالصلاة،

---

(١) التشريع الجنائي الاسلامي ١/ ٣١١ ـ ٣١٥.

والصوم، والزكاة، والحج، فلا يختص بها قوم دون آخرين، وإنما هي عامة وشاملة للجميع. . . وبهذا ينتهي بنا الحديث عن المساواة التي أعلنها الإسلام، والتي هي من أوليات المبادىء التي رفع شعارها، وتبناها في جميع المجالات.

المجتمع السليم

وأنشأ الإسلام منذ فجر تأريخه، مجتمعاً سليماً تتوفر فيه عناصر التقدم والازدهار، فقد أقامه على أساس وثيق من المودة، والمحبة، والألفة، وجعله مجتمعاً متراصاً، يشد بعضه بعضاً، لا ظل فيه للكراهية والبغضاء، ونتحدث ـ بإيجاز ـ عن بعض أسسه، ومعالمه.

عوامل الربط الإجتماعي:

وأقام الإسلام أحدث الوسائل على تماسك المجتمع الإسلامي وترابطه، وكان منها ما يلي:

١ ـ حب الخير للناس:

وهذه الظاهرة الفذة تنشأ من التربية الصالحة الهادفة إلى غرس النزعات الكريمة في أعماق النفس، والتي منها حب الخير إلى الناس، ففي الحديث «أحبب لغيرك ما تحب لنفسك، واكره له ما تكره لنفسك».

وحكى هذا الحديث المشرق، ما في الإسلام من أرصدة روحية هائلة تقضي على عوامل الشر والفساد في الأرض، وتزيل نزعات الشرور والعدوان، فقد أمر الإسلام معتنقيه أن يحبوا للناس ما يحبونه لأنفسهم، ويكرهوا لهم ما يكرهونه لأنفسهم، وبذلك تتكون أوثق الروابط الاجتماعية، ويجتمع الناس على صعيد المحبة والألفة، ويتحقق بذلك المجتمع السليم الذي يريده الله سبحانه وتعالى.

٢ ـ التراحم والتعاطف:

من عوامل الترابط الإجتماعي في الإسلام، تراحم المسلمين فيما بينهم، وعطف بعضهم على بعض، فإن ذلك من أوثق الأسباب في جمع كلمتهم، ووحدة جمعهم، استمعوا إلى ما يقوله عملاق الفكر الإسلامي، الإمام الصادق، عليه السلام.

١ ـ قال، عليه السلام: «تواصلوا، وتباروا، وتراحموا، وكونوا أخوة بررة، كما أمركم الله، عزَّ وجلَّ»[١].

٢ ـ قال، عليه السلام: «يحق على المسلمين الإجتهاد في التواصل، والتعاون على التعاطف والمواساة لأهل الحاجة، وتعاطف بعضهم على بعض، حتى تكونوا كما أمركم، الله عز وجل «رحماء بينهم» متراحمين، مغتمين لما غاب عنكم من أمرهم، على ما مضى عليه معشر الأنصار على عهد رسول الله، صلى الله عليه وآله»[٢].

٣ ـ قال، عليه السلام: «اتقوا الله، وكونوا أخوة بررة متحابين في الله، متواصلين متراحمين، تزاوروا، وتلاقوا، وتذاكروا أمرنا، وأحيوه...».

وحكت هذه الأحاديث الشريفة أوثق الأسباب التي توجب تماسك المجتمع، وصيانته من التحلل والإنحراف.

٣ ـ السعي في حوائج الناس:

من الأسباب التي تجمع الناس على صعيد المحبة والألفة، وتقارب بعضهم من بعض، السعي في قضاء الحوائج، فإنه من ألوان الإحسان الذي يوحد ما بين المشاعر والعواطف، وقد ندب الإسلام إلى ذلك بصورة إيجابية، ولنستمع إلى بعض ما أثر عن أئمة المسلمين في ذلك:

---

(١) أصول الكافي ٢/ ١٧٥.
(٢) أصول الكافي: ٢/ ١٧٥.

قال، عليه السلام: «إن لله عباداً يسعون في حوائج الناس، هم الآمنون يوم القيامة، ومن أدخل على مؤمن سروراً، فرح الله قلبه يوم القيامة»[1].

٢ ـ قال الإمام أبو عبد الله الصادق، عليه السلام: «قال الله عزَّ وجلَّ: الخلق عيالي، فأحبُّهم إليَّ ألطفهم بهم، وأسعاهم في حوائجهم...»[2].

٣ ـ قال الإمام أبو عبد الله الصادق، عليه السلام: «من سعى في حاجة أخيه المسلم طلب وجه الله كتب الله عزَّ وجلَّ له ألف ألف حسنة الخ...».

٤ ـ قال الإمام الصادق، عليه السلام: «ما من مؤمن يمشي لأخيه المؤمن[4] في حاجة، إلا كتب الله، عزّ وجل، له بكل خطوة حسنة، وحط عنه بها سيئة، ورفع له بها درجة...».

إلى غير ذلك من الأحاديث الشريفة التي حثت على قضاء حوائج الناس، لأن به إقامة مجتمع سليم، مزدهر، يتعاون بعض أفراده مع بعض، وهذا ما يريده الله تعالى لعباده.

٤ ـ التعاون:

ويقوم المجتمع السليم على تعاون بعض شرائحه مع بعض، وقد حث الإسلام على ذلك، قال تعالى: ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان** ﴾. إن التعاون على الخير، والبر والتقوى، وما ينفع الناس، من أبرز الصفات الرفيعة في المجتمع السليم الذي أقامه الإسلام، ليكون رائد خير وسعادة لجميع شعوب العالم، وأمم الأرض.

٥ ـ إصلاح ذات البين:

إنَّ في إصلاح ذات البين حسماً للشر، واستئصالاً لجراثيم العداوة، وإرجاعاً لعلاقة الصفاء، وروابط الإخاء، ووقاية للمجتمع من التصدع، وقد

---

(١) المصدر نفسه: ٢/ ١٩٧.
(٢) أصول الكافي: ٢/ ١٩٧.

اهتم الإسلام به اهتماماً بالغاً، قال الله تعالى: ﴿ **فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم** ﴾[1] . وقال تعالى: ﴿ **إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون** ﴾[2] . وقال تعالى: ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما** ﴾[3] . وقال رسول الله، صلى الله عليه وآله لأصحابه: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة، إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة..»[4] . وقال، صلى الله عليه وآله، لأبي أيوب: «يا أبا أيوب ألا أدلك على صدقة يحبها الله ورسوله، تصلح بين الناس إذا تباغضوا وتفاسدوا..»[5] . إن إصلاح ذات البين يقضي على عوامل الشر والشقاق، ويصلح ما أفسدته الأنانيات، وغيرها مما يؤول أمرها إلى التراب.

٦ ـ الإستقامة:

وبنى الإسلام مجتمعه السليم على الإستقامة، والتوازن في جميع الأمور، قال الله تعالى: ﴿ **فاستقم كما أمرت ومن تاب معك** ﴾[6] وقال تعالى: ﴿ **قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي إنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه** ﴾[7] .

إن الاستقامة تحفظ الفرد والمجتمع، وتقيهما من المشاكل والأزمات، وتبني للأمة صرحاً من الأمن والاستقرار.

٧ ـ التزاور:

وحث الإسلام على تزاور المسلمين بعضهم لبعض، لأنه يعقد أواصر

---

(١) سورة الأنفال: آية ١.
(٢) سورة الحجرات: آية ١٠.
(٣) سورة الحجرات: آية ٩.
(٤) رواه أبو داود، والترمذي.
(٥) رواه الطبراني.
(٦) سورة هود: آية ١١٢.
(٧) سورة فصلت: آية ٦.

المحبة والألفة بينهم، ويوجب المزيد من التعاون بينهم، يقول الإمام أمير المؤمنين، عليه السلام:

«لقاء الأخوان مغنم جسيم، وإن قلوا..».

ويقول الإمام محمد الباقر، عليه السلام، إلى خيثمة:

«أبلغ من ترى من موالينا السلام، وأوصهم بتقوى الله العظيم، وأن يعود غنيهم على فقيرهم، وقويهم على ضعيفهم، وأن يشهد حيهم جنازة ميتهم، وأن يتلاقوا في بيوتهم، فإنَّ لُقيا بعضهم بعضاً، حياة لأمرنا، رحم الله من أحيا أمرنا..».

وهذه الوصايا القيمة التي أدلى بها حفيد النبوة، توجب تماسك المجتمع، وترابطه.

ويقول الإمام جعفر الصادق، رائد الحضارة في دنيا الإسلام:

«تزاوروا فإنَّ في زيارتكم إحياءً لقلوبكم، وذكراً لأحاديثنا، وأحاديثنا تعطف بعضكم على بعض، فإن أخذتم بها رشدتم ونجوتم، وإن تركتموها ضللتم وهلكتم، فخذوا بها...»[1].

وأثرت أخبار كثيرة عن أئمة الهدى، عليهم السلام وهي تدعو المسلمين إلى التزاور، وتذكر ما يترتب عليه من الأجر الجزيل، والثواب العظيم عند الله تعالى، والسر في ذلك جلب المسلمين إلى التآلف والتعارف، وهو من العناصر الأساسية لإقامة مجتمع سليم.

٨ ـ الصدق:

وأقام الإسلام مجتمعه السليم على الصدق، وتحري الواقع، لأنه أساس الفضائل، والمجتمع الذي يتسلح به، قد حاز شرف الدنيا، وأما المجتمع الذي ينحرف عنه، ويؤمن بالنفاق والكذب، فهو مجتمع مريض لا خير فيه،

---

(١) النظام السياسي في الإسلام: ص ٢٢١ ـ ٢٢٢.

ولنستمع إلى بعض ما أثر عن الإسلام في الحث على التحلي به، قال الله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ **وقل رب ادخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً..** ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿ **واذكر في الكتاب اسمٰعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً** ﴾[3]. وقال تعالى في ذم الكذاب: ﴿ **إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب** ﴾[4]. وقال تعالى: ﴿ **فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين** ﴾[5]. وقال تعالى: ﴿ **ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام والله لا يهدي القوم الظالمين** ﴾[6].

ووردت جمهرة من الأخبار عن النبي، صلى الله عليه وآله، وهي تحث على التحلي بالصدق الذي هو أساس كل فضيلة، قال، صلى الله عليه وآله: «الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، والكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار»[7]. وقال، صلى الله عليه وآله: «تحروا الصدق وإن رأيتم أن الهلكة فيه، فإن فيه النجاة»[8]. وقال، صلى الله عليه وآله: «كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك مصدق، وأنت له كاذب»[9]. وقال، صلى الله عليه وآله: «كل خصلة يطبع، أو يطوى عليها المسلم، إلا الخيانة والكذب»[10].

---

(١) سورة التوبة: آية ١١٩.
(٢) سورة الإسراء: آية ٨٠.
(٣) سورة مريم: آية ٥٤.
(٤) سورة غافر: آية ٢٨.
(٥) سورة الزمر: آية ٣٢.
(٦) سورة الصف: آية ٧.
(٧) رواه البخاري، ومسلم.
(٨) رواه ابن أبي الدنيا.
(٩) مسند أحمد.
(١٠) مسند أحمد.

لقد أقام الإسلام مجتمعه على أسس وثيقة ومشرقة من الفضائل، ترفعه إلى أرقى المستويات، وتجعله الرائد الأعلى لشعوب العالم، وأمم الأرض.

٩ ـ حماية الوطن:

أما حماية الوطن، والدفاع عنه، فإنها من الواجبات الأصيلة في الإسلام، فيجب على كل مسلم أن يدافع عن الوطن الإسلامي، ويتأكد ذلك على الأقرب فالأقرب إلى البلاد التي تتعرض للغزو من قبل أعداء المسلمين، وقد أمر الإسلام بالإستعداد العام للدفاع عن الوطن، وحمايته من الغزو الخارجي، قال تعالى: **﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم، وما تنفقوا من شيء يوف إليكم وأنتم لا تظلمون ﴾**[1].

إنَّ المجتمع السليم، إنما يتحقق إذا سلم الوطن من الغزو والإستعمار، ورفرفت عليه راية الإستقلال، وعدم التبعية للأجنبي، وإلا فالبلاد المستعمرة لا يتحقق فيها مجتمع سليم، فإن الإستعمار يعمد بصورة سافرة، إلى سلب المجتمع جميع مقوماته الفكرية والوطنية، ويميت فيه جميع مقومات النهوض، والإرتقاء.

١٠ ـ بسط الأمن:

إنَّ المجتمع السليم، إنما يتحقق إذا توفر فيه الأمن، وانعدم فيه الخوف والإرهاب، وقد عنى الإسلام بصورة موضوعية إلى إزالة شبح الخوف عن الناس، إستمعوا إلى بعض ما أثر عن الإسلام في ذلك:

١ ـ قال رسول الله، صلى الله عليه وآله: «من نظر إلى مؤمن نظرة ليخيفه بها، أخافه الله، عزَّ وجلَّ، يوم لا ظل إلا ظله»[2].

---

(١) سورة الأنفال: آية ٦٠.
(٢) أصول الكافي: ٢/ ٣٦٨.

٢ ـ قال الإمام أبو عبد الله الصادق، عليه السلام: «من روع مؤمناً بسلطان ليصيبه منه مكروه، فأصابه، فهو مع فرعون وآل فرعون في النار».

إن من مستلزمات الحياة الإجتماعية في الإسلام، نشر الأمن، وإقصاء الخوف عن حياة الناس الذي هو من أعظم الآفات المدمرة للحياة.

١١ ـ نشر الحريات:

من مقومات المجتمع السليم تمتع أفراده بالحريات الكاملة التي هي كالهواء للرئة، لا تستقيم الحياة من دونها، وقد منح الإسلام الحريات الكاملة إلى الناس، والتي منها:

أ ـ حرية العقيدة:

من المبادىء التي رفع شعارها الإسلام، وتبناها في جميع مجالاته: حرية العقيدة، فالناس أحرار في عقائدهم، ولهم أن يتمتعوا بهذه الحرية في ظل الحكم الإسلامي، يقول الله تعالى مخاطباً نبيه العظيم: ﴿ **أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين** ﴾[١] وقال تعالى: ﴿ **فذكّر إنما أنت مذكّر لست عليهم بمسيطر** ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿ **وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** ﴾[٣].

إن الإسلام قد تبنى سياسة التسامح الديني مع كل الشعوب التي امتد إليها الفتح الإسلامي، يقول، (جولد تسيهر): «سار الإسلام لكي يصبح قوة عالمية على سياسة بارعة: ففي العصور الأولى لم يكن اعتناقه أمراً محتوماً، فإن المؤمنين بمذاهب التوحيد، أو الذين يستمدون شرائعهم من كتب منزلة كاليهود، والنصارى، والزرادشتية، كان في وسعهم متى دفعوا ضريبة

---

(١) سورة يونس: آية ٩٩.
(٢) سورة الغاشية: آية ٢١ ـ ٢٢.
(٣) سورة الكهف: آية ٢٩.

الرأس (الجزية) أن يتمتعوا بحرية الشعائر، وحماية الدولة الإسلامية، ولم يكن واجب الإسلام أن ينفذ إلى أعماق أرواحهم، وإنما كان يقصد إلى سيادتهم الخارجية. بل لقد ذهب الإسلام في هذه السياسة إلى حدود بعيدة، ففي الهند مثلاً كانت الشعائر القديمة تقام في الهياكل، والمعابد، في ظل الحكم الإسلامي...»[1].

ويذكر (دوزي) عن أهمية التسامح الديني في الإسلام، في حديثه عن فتح (الأندلس)، يقول:

«ولم تكن حال النصارى في ظل الحكم الإسلامي، مما يدعو إلى كثير من الشكوى، بالنسبة لما كانت عليه من قبل، أضف إلى ذلك أن العرب كانوا يتحلون بكثير من التسامح، فلم يرهقوا أحداً في شؤون الدين... ولم يغمط النصارى للعرب هذا الفضل، بل حمدوا للعرب تسامحهم وعدلهم، وآثروا حكمهم على حكم الجرمان والإفرنج»[2].

إن الإسلام ألزم المسلمين باحترام حق الغير في عقيدته، فليس لأحد أن يكره غيره على اعتناق عقيدته، يقول الله تعالى: ﴿ **لا إكراه في الدين** ﴾[3]. ومن مظاهر هذه الحرية التامة التي منحها الإسلام لغير المسلمين، أنه لا يلزمهم بتطبيق أحكام الإسلام عليهم، فلهم الحرية التامة في تطبيق أحكام دينهم عليهم، لا سيما في الأحوال الشخصية.

وعلى أي حال، فإن التأريخ لم يحدثنا أن المسلمين قتلوا كتابياً، أو عذبوه، أو سجنوه، لأنه لم يسلم، أو حتموا عليه الرجوع إلى دين الإسلام في منازعاته، وسائر شؤونه، وإنما عليه أن يرجع إلى أحكام دينه.

ب ـ حرية التعبير عن الرأي:

إن حرية التعبير عن الرأي، نطقاً أو كتابة، من حق كل مواطن في شريعة

---

(١) مواقف حاسمة (ص ٢٠).
(٢) النظام السياسي في الإسلام: ص ١٨٧ ـ ١٨٨.
(٣) سورة البقرة: الآية ٢٥٦.

الإسلام، ولكنها مشروطة بأن لا تكون منطلقاً إلى بث المبادىء الهدامة، والأفكار المجافية للإسلام، ولوحدة المسلمين، أو فيها إثارة للفتن، أو منافية للأخلاق والآداب العامة، فإن ذلك لا يسمح به الإسلام لأنه يؤدي إلى المفاسد، والمشاكل، بين المسلمين.

إن الإسلام أباح حرية الرأي، وجعله حقاً طبيعياً لكل إنسان، فله حرية التكلم بما شاء، وحرية المحاججة، والنقد لكل فكرة تشذ عن الحق، ولم يسمح باستعمال هذه الحرية في الإعتداء على الغير بغير حق، يقول عبد القادر عودة:

«حرية القول في الحدود التي وضعتها الشريعة، تعود دون شك على الأفراد بالنفع والتقدم، وتؤدي إلى نمو الإخاء، والحب، والاحترام بين الأفراد، والهيئات، وتجمع كلمة الأمة على الحق دون غيره، وتجعلهم في حالة تعاون دائم، وتقضي على النعرات الشخصية الطائفية»[1].

جـ ـ حرية الشخصية:

ونعني بها حرية الشخص في اختيار العمل الذي يتفق مع رغباته، لكسب معيشته، كالزراعة والتجارة، وسائر المهن والحرف الأخرى، ما لم تكن محرمة في الإسلام، كصنع آلات اللهو والقمار، أو العمل في معامل الخمر، فإنه محرم عليه مزاولتها.

ومن مظاهر الحرية الشخصية: اختياره من يشاء من السيدات لتكون زوجة له ما لم تكن محرمة عليه كالأم، والأخت، والعمة، والخالة، وغيرها من المحرمات النسبية، أو المحرمات بالمصاهرة كأم الزوجة وبنتها... ومن مظاهر هذه الحرية اختيار العلم الذي يريد أن يتخصص به كالطب، والصيدلة، والهندسة، والكيمياء، وغيرها. هذه بعض أنواع الحرية التي منحها الإسلام للمسلمين، وبها يتكون المجتمع السليم.

---

(١) النظام السياسي في الإسلام: ص ١٨٩.

الحرية في النظام الرأسمالي:

وأهم صور الحرية في النظام الرأسمالي: هي الحرية الإقتصادية، فقد ضمن هذا النظام للفرد الحرية التامة في الحصول على الأرباح، وزيادة دخله، واعتبر الدولة مسؤولة عن حماية هذه الحرية، وتهيئة جميع الوسائل التي تؤدي إلى زيادة أرباح الفرد.

إنَّ حرية الفرد في استحصال الثروة، هي الحجر الأساس الذي تبتني عليه الرأسمالية، ويُسمى هذا المذهب بالمذهب الفردي، وقد ذهب إليه كبار علماء الإقتصاد كـ(آدم سميث)، و(مالتوس)، و(ريكارد)، وغيرهم.

إنَّ الحرية الإقتصادية عند الرأسماليين، سبب لتنيمة الانتاج، واتساع الثروة العامة في البلاد، وهي عندهم من أهم وسائل الحياة التي يجب الحفاظ عليها.

إنَّ هذه الحرية التي رفع شعارها الغرب، قد عادت بالأضرار البالغة على المجتمع الإنساني، فقد تكدست ثروات المجتمع عند فئة قليلة من الرأسماليين أخذت تتحكم في مصير العالم، وتزجه في الحروب المدمرة، من أجل زيادة أرباحها، فقد كان لها ضلع كبير في إثارة الحرب العالمية الأولى، والثانية، حتى تبيع ما عندها من الأسلحة المكدسة، والبضائع التي لم يجدوا لها مجالاً لتصريفها إلا بإشعال نار الحرب في العالم.

إنَّ الإقتصاد الحر بنطاقه الواسع الذي تبناه النظام الرأسمالي، قد أدى إلى شيوع الأزمات الاقتصادية، فقد عانت الدول النامية الإضطهاد والحرمان، وشاعت في شعوبها ألوان مريرة من البؤس والشقاء، فلم تظفر بالدعة، والإستقرار والرخاء، الأمر الذي أدى إلى شيوع الإضرابات العامة في صفوف العمال، وسائر الموظفين في أجهزة الدولة، مطالبين بزيادة الأجور، وتحسين حالتهم الإقتصادية. وقد بحثنا عن هذه الجهة بالتفصيل في كتابنا (العمل وحقوق العامل في الإسلام).

الحرية في النظام الشيوعي:

أما الحرية في ظل النظام الشيوعي المنهار، فقد صودرت بجميع صورها وأشكالها، ولم يعد لها أي ظل في ظل ذلك النظام الرهيب الذي فرض سيطرته بقوة الحديد والنار.

إنَّ الحريات العامة التي يطالب بها كل شعب هي: حرية الأديان، وحرية الرأي، وحرية النقد، وحرية الصحافة، وحرية الإجتماع، وحرية النقل والإنتقال، لا وجود لها مطلقاً في ظل النظام الشيوعي. يقول (لينين): «نحن لا نستطيع أن نأخذ بآراء المخبولين الذين يطالبون بالحرية، فنحن في ظل ديكتاتورية البروليتاريا لا نستطيع أن نمنح المواطنين الحرية السياسية[1].

إنَّ إقصاء الحريات العامة في ظل النظام الشيوعي، أمر ضروري لأن الشعب إذا مُنح حرياته، فلا يعقل أن يخضع لذلك النظام الرهيب الذي ليس فيه قانون يحمي الشعب، وإنما يحمي الحزب والدولة، وقد أعلن ذلك لينين بقوله: «يقع كثير من الناس في خطأ فاحش هو الإعتقاد بأن القوانين يجب أن تحمي الحريات، ونحن نرد على هؤلاء البلهاء قائلين: بأن القوانين لا توضع لحماية الحريات، وإنما توضع لحماية الدولة..»[2].

وتحدث «مسيمو» عن إقصاء الحريات في الحكم الشيوعي يقول:

«إنه لا وجود عندهم لحرية القول، أو لحرية الإجتماع، ولا لأي إجراءات تمكن المواطنين من ممارسة أية رقابة على السلطات العامة، والخطب التي تمثل رأي جانب واحد، تأخذ عندهم مكان المناقشات العامة، فحكومة الأقلية الصغيرة التي تتألف من الهيئة التنفيذية للحزب الشيوعي، لا تدير شؤون الدولة فحسب، بل تمتد سلطتها إلى إدارة دفة الاقتصاد والتعليم، فهم يتحكمون في النشاط الديني والثقافي، وفي أوقات الفراغ، وهم يدعون

---

(١) العمل وحقوق العامل في الإسلام (ص ١٩٦) نقلاً عن النظام الشيوعي.
(٢) النظام الشيوعي: ص ٢٨.

أنهم يقومون بهذا العمل نيابة عن الشعب، مع أنه لا وجود عندهم لانتخابات حرة تمكن الشعب من التعبير عن رغباته الحقة، ويقولون: إنهم يعملون على إسعاد رعاياهم. .»[1].

إنَّ الإستعباد يسير مع الحكم الشيوعي جنباً إلى جنب، وقد برهنت أعمالهم على وجود نقص مركب، وعقدة نفسية عندهم، مصدرها ضعف القاعدة التي يستندون إليها، فالتجأوا إلى الإرهاب، والقسوة، والعنف، في جميع أمورهم والتي منها:

١ ـ الرقابة على الصحف:

وفرضت السلطات الشيوعية الرقابة الشديدة على الصحافة، وسائر النشرات، خوفاً من أن يكون فيها ما يتجافى مع التعاليم الشيوعية، يقول ستالين: «ويجب أن يكون مفهوماً أننا لن نصرح في أي وقت من الأوقات بأننا نؤمن بمنح حرية الصحافة، إلا للطبقة التي نحكم باسمها. .».

وصرح لينين سنة (١٩٢٠ م) بقوله:

«يجب أن يكون مفهوماً أن حرية الصحافة لا تعني في نظرنا إلا حرية اختيار الوسيلة التي يلجأ إليها الصحفيون في التبشير بمبادئنا الشيوعية، ولا تعني هذه الحرية بأية حال من الأحوال الحق في الترويج للآراء التي لا تتفق مع الآراء الماركسية. .»[2]. وقالت جريدة (برافدا) الناطقة بلسان الحزب الشيوعي في عددها الصادر في ١٨ أكتوبر سنة (١٩٤٦ م): «تعلمنا من ستالين أن الصحافة هي الجهاز الذي يدرب الناس على الأخذ بتعاليم ماركس ولينين. . ويجب على الصحافة أن تكون صحافة شيوعية حتى تكون الآراء التي تنشرها متمشية تماماً مع العقلية التي تملي عليها ما تكتب. .».

إلى غير ذلك من التصريحات التي أدلى بها أعضاء القيادة العليا في

---

(١) مذهب الأحرار: ص ٥٩.

(٢) اقتبسنا هذه التصريحات من النظام الشيوعي: ص ٣٥ ـ ٣٧.

الحزب الشيوعي، وهي تدل ـ بوضوح ـ على استهانة الفكرة الماركسية بحقوق الإنسان وكرامته، وتجاهله لأبسط القضايا العادلة للإنسان.

٢ ـ استعباد العمال:

وظاهرة أخرى للنظام الشيوعي، وهو استهانته بحقوق العامل، فإنه لا حرية له، ولا اختيار، وإنما هو آلة بيد الحزب الشيوعي، يتصرف فيه كيفما يشاء، فليس له الحرية في الإنتقال من مكان إلى مكان، ومن عمل إلى عمل آخر، فقد صدر مرسوم في ١١ أكتوبر سنة (١٩٣٠ م) ينص على أن العامل يجب أن يقبل أي عمل يعهد به إليه في أي بلد، وفي أي مكان.

وصدرت مراسيم في ٢٤ سبتمبر سنة (١٩٣٠)، و٩ أكتوبر سنة (١٩٣٠) و١٠ أغسطس سنة (١٩٤٠ م)، وقد نصت هذه المراسيم على تحريم تخلي العامل عن عمله من تلقاء نفسه، وإلا فإنه يعد هارباً، ويحكم عليه بأن يقضي عشر سنين في معسكرات العمل الإجباري.

وينص المرسوم الصادر في ١٦ ديسمبر سنة (١٩٣٢)، والمرسوم الصادر في ٢٦ يونيو سنة (١٩٤٠)، على أن العامل إذا غاب يوماً واحداً عن عمله، فإنه يفصل من عمله، ويحرم من بطاقة الإتحاد المثبتة لمهنته، والتي تعطيه حق السكن والغذاء، ويتعرض للحكم عليه بالسجن مدة تتراوح ما بين ستة أشهر إلى سنة.

وينص المرسوم الصادر في أول يونيو سنة (١٩٣٢)، والمرسوم الصادر في ٣ يونيو سنة (١٩٤٢)، على أن العمال مسؤولون مالياً عن كل ضرر يحدث بالمصنع، أو بالأدوات بحسب تقدير مدير المعمل، وقد يصل ما يقتطع من أجر العامل إلى عشرة أمثال ما تلف، أو ضاع منه[١].

هذه بعض القوانين القاسية التي سنها النظام الشيوعي ضد العمال، وهي تحمل طابع الموت والدمار عليهم... وقد بحثنا بحثاً موضوعياً وشاملاً عن

---

(١) العمل وحقوق العامل في الإسلام.

حالة العمال، وما يقاسونه من العذاب الأليم في ظل الحكم الشيوعي، في كتابنا «العمل وحقوق العامل في الإسلام».

وعلى أي حال فإن الحرية بجميع مفاهيمها وصورها، لا ظل لها في النظام الشيوعي، وقد ذكرت في معظم الكتب الإسلامية التي ألفتها أن المبدأ الشيوعي لا بد أن ينهار لأنه أنظمته لا تطاق، فقد شذت عن سنن الكون وفطرة الإنسان، وقد تحقق ما ذكرناه، فقد انهارت الشيوعية في الإتحاد السوفياتي الذي هو الوطن الأم لها، إذ انتفضت الشعوب المستعمرة لـ(روسية)، وهي تهتف بسقوط الحكم الشيوعي، وتدعو إلى الخلاص منه، وقد استقلت (ألمانية الشرقية)، وغيرها من دول (أوروبة الشرقية)، وتابعتها جميع مستعمرات (روسية)، وتبدل النظام القاسي في نفس (روسية) وتخلصت الشعوب من ذلك الإرهاب والاضطهاد، وبان لها زيف الأفكار الماركسية التي بشرت بمبادئها إنها تجعل الأرض فردوساً لمعتنقيها، وإذا بها بعد سبعين عاماً من حكمها، قد نشرت الفقر، والبؤس، والحرمان، والخوف، في أراضيها، وحقت بهم كلمة الله أن جعلهم هباءً منثوراً.

١٢ ـ الوفاء بالعهد والوعد:

من السمات البارزة للمجتمع السليم: الوفاء بالعهد والوعد، واعتبرهما الإسلام عنصراً من عناصر مجتمعه، ومقوماً من مقوماته، قال الله تعالى: **﴿ وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً ﴾**[1]. وقال الله تعالى: **﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إنَّ الله يعلم ما تفعلون ﴾**[2].

وأثرت عن الرسول الأعظم، صلى الله عليه وآله، مجموعة من الأحاديث تحتم على المسلمين الالتزام بالعهد والوعد، وتحذرهم من مخالفتهما، وهذه بعضها:

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٣٤.

(٢) سورة النحل: الآية ٩١.

١ ـ قال رسول الله، صلى الله عليه وآله: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة، من النفاق حتى يدعها: إذا أُؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر..»[١].

٢ ـ قال، صلى الله عليه وآله: «إذا جمع الله الأولين والآخرين، يوم القيامة، يرفع لكل غادر لواء، فقيل هذه غدرة فلان بن فلان»[٢].

إنَّ من أبرزِ صفات المسلمين الوفاء بالعهد والوعد، ويجمع المؤرخون إن أول من خان بعهد الله ووعده، هو معاوية ابن أبي سفيان، فقد أعطى لريحانة الرسول وسبطه الإمام الحسن، عليه السلام، شروطاً في صلحه معه، ولما تسلم قيادة الحكم، أعلن أمام الجماهير الحاشدة في النخيلة أنه أعطى الإمام الحسن شروطاً، «وها هي تحت قدمي هاتين، لا أفي بواحدة منها!».

١٣ ـ الصحة العامة:

من مقومات المجتمع السليم: نشر الصحة العامة، ووقاية الإنسان من الإصابة بالأمراض التي تفتك بقواه وتفكيره، فيكون عالة على غيره، وعضواً مشلولاً في المجتمع، وقد اهتم الإسلام بالصحة اهتماماً بالغاً، وجعلها من مقومات مجتمعه ففي الحديث: «العقل السليم في الجسم السليم»، وفي حديث آخر: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير»[٣] وفرض الإسلام كثيراً من التعاليم الصحية التي تقي الإنسان من الإصابة بكثير من الأمراض، والتي منها:

النظافة:

أما النظافة فهي تقي الجسم من الإصابة بالأمراض السارية، وقد حث عليها الإسلام، وجعلها مرتبطة بالإيمان، ففي الحديث: «النظافة من

---

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه مسلم.

الإيمان». وفي حديث آخر: «ليس منا الرجل القاذورة». والنظافة التي شرعها الإسلام، تشمل ما يلي:

أ ـ الوضوء:

وأوجب الإسلام الوضوء قبل الصلاة اليومية التي تتكرر في كل يوم خمس مرات، وواجبات الوضوء: غسل الوجه واليدين، ومسح الرأس والرجلين، وسننه المضمضة والإستنشاق بالماء، وقد ذكر الأطباء أن غسل الوجه واليدين أحسن وقاية لها من الإصابة بالأمراض الجلدية، والالتهابات، فإن الكثير من (الميكروبات) تصيب الإنسان من طريق اختراق الجلد، ولا شك أن الغسل المتكرر يقيها من الإصابة بالأمراض الجلدية، فإن الطبقة الخارجية من الجسم إذا كانت نظيفة لا تصل إليها (الميكروبات).

وأما الجراثيم التي تدخل من طريق الفم، فإنها إنما تدخل من طريق تلوث اليدين، فإذا كانتا مغسولتين ونظيفتين على الدوام، فإن الجراثيم لا تصل إليهما[1].

وبالإضافة إلى ذلك فإن تكرار غسل الوجه واليدين خمس مرات يومياً، موجب لقبض الشعرية السطحية الجلدية وبسطها، وهذا القبض والبسط يسبب حركة القلب، وينشط المبادلات في الجسم، ويكثر عدد الكريات الحمر، ويقوي الحركات النفسية المسببة لزيادة استنشاق (الأُوكسيجين)، ودفع (الكاربون)، ويحصل بذلك تنبه الأعضاء المدركة المحركة، ويسري هذا التنبه إلى جميع الأعصاب القلبية، والرئوية، والمعدية[2].

وأما سنن الوضوء، فمنها الإستنشاق بالماء، وفائدته تطهير مجاري الأنف من الجراثيم التي تجمع في فضائه، وقد تسري إذا بقيت إلى الدماغ، وقد تنفذ إلى الحنجرة، ومنها إلى الرئتين، وقد تحدث من جراء ذلك أمراض خطيرة كالصَّرَعِ والهستريا، أو رئوية: كضيق النفس والسعال،

---

(١) الإسلام والطب الحديث: ص ٦٢ ـ ٦٣.

(٢) القرآن والطب الحديث: ص ١٠٩.

وأمثالها[1] :

ب ـ تنظيف الأسنان :

وندب الإسلام إلى تنظيف الأسنان، وذلك بالمضمضة، وبالسواك أما فوائد المضمضة، فهي تطهير الغشاء المائي للأسنان، وتنظيف خللها، وخلاياها من الأوساخ، وبقايا الطعام الذي إن بقي في الأسنان فسد وتعفن، فأضر بالمعدة، وذلك باختلاطه مع الغذاء النازل إليها، وإذا فسد الدم لم يتغذ البدن، وأوردت أمراض فقر الدم، وصفرة الوجه، ونحول الجسم، وأحياناً يولد الديدان المعدية، ولهذا قيل: «سلامة الأبدان بسلامة الأسنان»[2] .

وأما تنظيف الأسنان بالسواك فقد حث عليه الرسول الأعظم، صلى الله عليه وآله، يقول: «لولا أن أشق على أمتي، لأمرتهم بالسواك قبل كل صلاة». وقد ندب النبيُّ، السواك بعود الأراك، وإنما خصصه به لأنه يتكون كيمائياً من ألياف السيليوز، وبعض الزيوت الطيارة، وبه راتج عطري، وأملاح معدنية أهمها: (كلورير الصوديوم)، و(كلورير البوتاسيوم)، و(أوكسيلات الجير) وقد أجريت فحوص في المختبرات البريطانية على عود الأَراك، فتبين أنه أكثر عائدة على الأسنان من المعجون الذي يستعمل لتنظيف الأسنان[3] .

ج ـ الإستنجاء :

ومن محاسن التشريع الإسلامي في عالم الصحة أنه أوجب الإستنجاء بالماء الطاهر لإزالة عين النجاسة مما يخرج من القبل والدبر من الفضلات، التي تحمل (الميكروبات) والقاذورات، فلا يزيلها، ويريح الجسم من روائحها الكريهة إلا الماء، فإن تعذَّر فبالأحجار لما يخرج من الدُّبر خاصة.

نظافة الثياب :

---

(١) القرآن والطب الحديث: ص ١١٠.
(٢) إذاعة لندن.
(٣) النظام السياسي في الإسلام: ص ٢٩٧.

وندب الإسلام إلى نظافة الثياب، وألزم بتطهيرها إنْ كانت نجسة، لأداء الصلاة، قال تعالى: ﴿ **وثيابك فطهِّر** ﴾.

نظافة المسكن:

وأصر الإسلام على نظافة المسكن، وذلك لما له من الأثر الفعال على الصحة، فإن الكثير من الأمراض ناجمة من تلوث المساكن، وعدم نظافتها.

نظافة الطرق وتشجيرها:

وندب الإسلام إلى كل ما تتقدم به الصحة العامة في البلاد، والتي منها: نظافة الطرق، وإزالة ما فيها من الأوساخ والقاذورات التي تضر بالصحة، كما ندب إلى غرس الأشجار، وكره قلعها، لأن لها الأثر الفعال في طيب الهواء الذي يعتبر من العناصر الفعالة في إقامة الصحة، وجعل الطب وقائياً.

الغسل:

وأوجب الإسلام غسل جميع البدن بالماء للرجل والمرأة، عقيب العملية الجنسية، أو الإحتلام، فإن الغسل يعيد للجسم القوة والحيوية، ويجعله في نشاط. كما ندب الإسلام إلى الغسل في مواضع متفرقة، ومن أهمها الغسل يوم الجمعة، وذلك لما له من الأثر في نظافة البدن وسلامته من التلوث بالجراثيم و(الميكروبات).

هذه بعض البرامج التي أسسها الإسلام لإشاعة النظافة بين المسلمين، وهي من العناصر الأولية في إيجاد الصحة العامة، ووقاية الإنسان من الإصابة بكثير من الأمراض.

المأكل والمشرب:

وأحاط الإسلام مأكل الإنسان ومشربه بكثير من العناية، ونظر بعمق

وشمول إلى ما يصلح بدنه، ويقيه من الإصابة بكثير من الأمراض، ونعرض ـ بإيجاز ـ إلى بعض تشريعاته في هذا المجال:

تجنب الإسراف في الأكل:

ويجمع أطباء العالم على أن الإسراف في تناول الطعام، يجر للإنسان كثيراً من المضاعفات السيئة، ويوجب إصابته بكثير من الأمراض التي منها البدنة والسمنة، وهي تسبب تصلب شرايين القلب، وارتفاع ضغط الدم، ومرض السكر، وأمراض الجهاز الهضمي، وإصابة الكلي، وغير ذلك من الأمراض المتنوعة، وقد نهى الإسلام عن الإسراف في الأكل، قال تعالى: ﴿ **كلوا واشربوا ولا تسرفوا أنه لا يحب المسرفين** ﴾[1]. وقال رسول الله، صلى الله عليه وآله: «ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه، وحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا بد، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه».

لقد وضع الإسلام أهم قاعدة للصحة العامة، ولو التزم بها الناس وطبقوها على حياتهم، لأصبح الطب وقائياً، وما ازدحموا على عيادة الأطباء، يقول رائد الحضارة والفكر في الإسلام، الإمام الصادق، عليه السلام: «لو اقتصد الناس في طعامهم لاستقامت أبدانهم».

مأكولات محرمة:

وحرم الإسلام تناول بعض المأكولات، لأنها تضر بالصحة، وتوجب فساد الأبدان، وأمر بتناول الطيبات التي تعود بأطيب الثمرات على الإنسان، قال تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله إن كنتم إياه تعبدون * إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله**. . ﴾[2] وأعلنت الآية الكريمة تحريم الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أُهِلَّ به لغير الله، ونعرض لبعض الأضرار الناجمة عن تناول هذه المحرمات:

---

(١) سورة الأعراف: آية ٣١.

(٢) سورة البقرة: آية ١٧٢ ـ ١٧٣.

١ ـ الميتة:

أما الميتة: فهي التي تفارقها الحياة من غير ذبح، فقد ذكر الأطباء في أضرارها ما يلي:

«الحيوان الميت ميتة طبيعية لا يموت إلا لسبب، فإن كان لمرض، فمما لا شك فيه أنه لا يزال في الجسم باقياً نتيجة تسمم اللحم من مواد غير طبيعية وضارة للإنسان، حتى بعد تعقيمه من الجراثيم بطريق النار، فالجسم الميت في هذه الحالة يشبه الغذاء المتخمر الذي مهما طهر من الجراثيم بالحرارة، يظل مضراً بالإنسان، وربما أدى الأكل منه إلى الوفاة»[١].

وقال بعض الأطباء:

«إنَّ الميتة تنعدم فيها جميع خواصها الطبية للبدن، وتزول كل موادها الحيوية، فإذا أكلها الإنسان عقيب موت الحيوان مباشرة، أحدثت له مغصاً في المعدة، ونزلات معوية حادة، أما إذا مضت على موته مدة حتى تعفن، فقد صار سماً زعافاً، وأحدث بالبدن ضرراً لا يتدارك مثل الفالج، والسكتة، وموت الفجأة، وأحياناً بالمدواة قد يحدث العقم في النسل»[٢].

وأما إذا كانت الميتة مستندة إلى الشيخوخة، فإن ضررها كضرر الميتة التي يستند موتها إلى المرض، لأن الشيخوخة موجبة لانحلال الأنسجة بأسرها، وهو يحدث تغييراً هائلاً في لحم الحيوان، مما يؤدي إلى الأمراض المعدية[٣].

٢ ـ الدم:

وحرم الإسلام ـ في الآية الكريمة ـ تناول الدم، لأنه مرتع للجراثيم، فمنه تتولد، ومنه تنتشر، بالإضافة إلى أنه يحمل بعض السمومات، فإذا تناوله

---

(١) الإسلام والطب الحديث: ص ١٧.
(٢) القرآن والطب الحديث: ص ٧٤.
(٣) القرآن والطب الحديث: ص ٧٤.

الشخص من طريق الفم، فإنه يحدث فيه تهيجاً في الأغشية المعدية، ويسبب له أمراضاً خطيرة، أما إذا أخذ الدم من الحيوان المريض، فإنه يحدث له ارتفاعاً عالياً في درجة الحرارة، وفي ضغط الدم[1].

٣ ـ لحم الخنزير:

وحرم الإسلام لحم الخنزير ـ كما أعلنت ذلك الآية الكريمة ـ وذلك لما فيه من الأضرار البالغة التي منها الإصابة بداء (تريشينوز)، وهو داء صعب العلاج، يصحبه إسهال شديد، وأحياناً يحدث إسهالاً دموياً مع مغص، وحمى قوية، وانحطاط في القوى، وأوجاع مؤلمة في المفاصل، وجفاف في الحنجرة، وأعضاء التنفس، وانتفاخ ظاهر في الوجه، وخاصة حول العينين، كما يوجب الضعف العام في الجسم، وتشتد العوارض، وربما تنتهي به إلى الموت.

وقد اكتشف الطبيب الإنجليزي (باجت)، في سنة (١٨٣٥ م) هذا الداء بمساعدة أستاذه «أوين» عند تشريح جثة إنسان كان يكثر من أكل لحم الخنزير، وبعد التجارب والفحوص المتعددة، ظهر لديه أن هذا الداء ينشأ من دودة تسمى (تريشينلا) تعيش في أمعاء بعض الحيوانات ذوات الثدي كالفيران، والجرذان، والكلاب، والخنازير، غير أنها فيها أربى وأكثر تولداً، خصوصاً وهي تأكل الجيف من كل حيوان يموت، وفيه الطفيلة، فإذا أكل الإنسان لحم الخنزير المصاب بها، فلا بد وأن يدخل في جوفه قسم كبير من أكياسها الحية المخزونة في لحم الخنزير المصاب، وبعد مدة وجيزة تذوب تلك الأغشية في أمعاء الإنسان، فتخرج منها الديدان، وتنتشر في جميع أنحاء البدن، فتسبب الأمراض السالفة الذكر[2]. وهذه الإصابة توجد بكثرة في بلاد الغرب التي استباحت أكله. يقول «بيني وديكسون»:

«إنَّ الإصابة بها تكاد تكون عامة في جهات خاصة في (فرنسة)،

---

(١) النظام السياسي في الإسلام: ص ٣٠١.
(٢) القرآن والطب الحديث: ص ٧٦.

و(ألمانية)، و(بريطانية)، و(إيطالية)، ولكنها تكاد تكون نادرة الوجود في البلاد الشرقية، لتحريم دين أهلها أكلها لحم الخنزير»[1]. وقد أدلى بعض الأطباء ببعض الحقائق عن لحم الخنزير، وعن الإصابة به يقول:

١ ـ إنه ليس من الممكن لطبيب أخصائي أن يقرر أن خنزيراً ما غير مصاب بهذه الديدان إلا أذا فحص كل جزء من عضلاته تحت المجهر، وهذا غير ممكن.

٢ ـ الأنثى الواحدة من هذه الديدان تضع ١٥٠٠ جنين في الغشاء المخاطي المبطن لأمعاء المصاب، فتوزع الملايين المولودة من الإناث جميعاً بطريق الدورة الدموية إلى جميع أجزاء الجسم، فتتجمع الإجنة في العضلات الإرادية، حيث تسبب آلاماً شديدة، والتهابات عضلية مؤلمة، تدعو إلى انتفاخ النسيج العضلي وصلابته، وتكون نتيجة الأورام التي تمتد بطول العضلات.

٣ ـ إنه لا يوجد علاج لهذا المرض، ولا يجدي معه دواء، كما أن لحم الخنزير ينقل للإنسان بعض الجراثيم العفنة و(الباراتيفود)، التي تسبب للإنسان تسمماً حاداً مصحوباً بالتهابات شديدة في الجهاز الهضمي، قد تسبب له الوفاة في بضع ساعات[2]

إنَّ هذه الأضرار الهائلة التي أدلى بها أطباء الغرب، تكشف عن أصالة الإسلام، ووعيه العميق، وحكمته الرائعة في تحريمه للحم الخنزير، ولعل المختبرات والأجهزة العلمية في المستقبل، تكشف عن أضرار أخرى غير هذه التي ذكرناها.

الخمور:

أما الخمور فهي من أفحش المحرمات في الإسلام، وذلك لما يترتب عليها من الأضرار الهائلة التي تفتك بجسم الإنسان، وقد أحصت كتب الطب

---

(١) النظام السياسي في الإسلام: ص ٣٠٢.
(٢) روح الدين الإسلامي: ص ٤٠٥.

الحديثة أربعاً وعشرين ضرراً مترتباً على شربها، وقد دوَّنتُها بالتفصيل في كتابنا «العمل وحقوق العامل في الإسلام» والتي كان منها:

إنَّ الكحول التي في الخمر تسري إلى دم الإنسان، وتختلط به، فإذا سحبنا من دم سكران، وأدنيناه من النار، فإنه يشتعل كـ(السبيرتو)، ومضافاً لذلك فإن الإدمان على الخمر يوجب الانغماس في الرذائل والموبقات كالقمار، والدعارة، والمجون، وكل ما يخِّل بالشرف، وقد أوجب الإسلام الحد على شارب الخمر، وهو ثمانون جلدة، وإذا كان مستحله لها عن فطرة فإنه يقتل.

وبهذا ينتهي بنا المطاف عن بعض البرامج الصحية في الإسلام التي هي من العناصر المهمة في بناء المجتمع السليم.

١٤ ـ إقصاء الفقر:

ـ أما الفقر فهو من الكوارث الاجتماعية المدمرة، والمجتمع السليم هو الذي لا يوجد فيه ظل للفقر والبؤس والحرمان، وقد وضع الإسلام الأنظمة الخلاقة لإذابته، وإقصائه عن الناس، يقول الإمام أمير المؤمنين، عليه السلام، رائد العدالة الاجتماعية: «لو تمثل لي الفقر رجلاً لقتلته..».

ويقول الإمام أمير المؤمنين، عليه السلام: «ما ضرب الله عباده بسوط أوجع من الفقر..».

ويقول صاحب رسول الله (ص)، أبو ذر الغفاري، الثائر على الظلم: «عجبت لمن لا يجد القوت في بيته، كيف لا يخرج على الناس شاهراً سيفه..».

وفي بعض أدعية أئمة أهل البيت، عليهم السلام: «اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر..».

الفقر في لغة الإسلام مرادف للكفر والإلحاد، فما دخل الفقر إلى بلد إلا صحب معه المبادىء الشاذة والهدامة، يقول محمد جابر عبد العال: إن

الأزمات الإقتصادية إذا طال أمدها تضعف العقول، وتجعلها فريسة للمذاهب الهدامة التي تبرق للناس مورية بحياة سعيدة. .»[1] .

إنَّ مشكلة الفقر من أعقد المشاكل العالمية، وقد أعيت رجال الإقتصاد حلها، فقد ذهب القائلون بالإقتصاد الحر إلى ضرورة جعل الإقتصاد حراً غير خاضع للدولة، ولا لأي هيئة سياسية، وإنما أمره بيد أبناء الشعب، وقد أباحوا جميع الوسائل والطرق التي تؤدي إلى زيادة ربح الفرد كالربا، والاستغلال، والاحتكار، وغير ذلك. وقد أشاعت هذه الفكرة البؤس، والشقاء، والحرمان، في الأكثرية الساحقة من شعوب العالم، وتكدست ثروات الشعوب بيد فئة من الرأسماليين الذين انعدمت من نفوسهم الرقة والرحمة، ولا همَّ لهم إلا زيادة أموالهم وأرباحهم بكل وسيلة.

وذهب القائلون بالنظام الشيوعي إلى ضرورة تأميم جميع ثروات الأمة للدولة، باعتبارها المالك الحقيقي للشعب، ولزوم تجريد المجتمع من الملكية الفردية، لأنها النواة الأولى (للبرجوازية) فيما يزعمون، وقد شذت هذه الفكرة عن سنن الكون، وطبيعة الإنسان، فقد قضت على أقوى الغرائز الأصيلة في الإنسان في حب التملك، وفي الوقت نفسه أشاعت البؤس والحرمان في بلادها.

وقد هبت الشعوب الخاضعة للنظام الشيوعي، وهي تعلن رفضها الكامل للمبادىء الشيوعية، حتى أطاحت بالحزب الحاكم، وقوضت جميع معالم الشيوعية، وذلك في الإتحاد السوفياتي الذي هو الوطن الأم للشيوعية العالمية، وقد كنت على يقين لا يخامرني أدنى شك من أن الشيوعية لا بد أن تفشل، وتطوى جميع معالمها، وذلك لأنها مبنية على أفكار خاطئة لا يدعمها علم ولا منطق، وقد تحقق ما كنت أُؤمن به، فقد انهارت تلك الدولة العظمى التي هي من أقوى الدول العالمية، ومن أعتاها، لأنها قد كفرت بجميع القيم والمبادىء التي يؤمن الإنسان بها.

---

(١) حركات الشيعة المتطرفين: ص ٢٩.

لقد فشلت الشيوعية، وانهار حزبها، وتحطمت خلاياها، وكذلك سوف تفشل الرأسمالية لأنها مبنية على الغبن الإجتماعي، وعلى قهر الشعوب الضعيفة وسلب ثرواتها.

ومن المؤكد أنه ليس في ميادين الإصلاح الاجتماعي مبدأ يقوم على الحق والعدل سوى الإسلام، الدين الذي ارتضاه الله لعباده، ففي ظلاله تجد الإنسانية المعذبة سعادتها وكرامتها، وأمنها ورخاءَها، وتتخلص من ذئاب البشرية وكلابها.

وعلى أي حال فإنا نعرض ـ بإيجاز ـ لنماذج من الإقتصاد الإسلامي الذي هو حري بإقامة مجتمع سليم، يتوفر فيه الرخاء الشامل لجميع قطاعات الشعب.

لقطات من الإقتصاد الإسلامي:

وعالج الإسلام القضايا الإقتصادية، ووضع لها الحلول الحاسمة التي تزدهر بها البلاد، والتي منها:

١ ـ العمل على زيادة الثروة:

إنَّ من الأسباب الناجحة في هدم صروح الفقر: العمل على زيادة ثروة الأمة، الزراعية، والحيوانية، والمعدنية، وغير ذلك مما يعود بالنفع الشامل، والتقدم الإقتصادي في البلاد، أما الأسباب التي توجب ذلك فهذه بعضها:

أ ـ توفير العمل:

إنَّ الإسلام يلزم بتوفير العمل للمواطنين، وتهيئة جميع وسائله وطرقه من المعامل، والمصانع، والمشاريع العامة التي يزداد بها دخل الفرد، يقول الإمام أمير المؤمنين، عليه السلام، في بعض خطبه:

«أيها الناس! إن لي عليكم حقاً، ولكم علي حق، فأما حقكم علي فالنصيحة لكم، وتوفير فيئكم عليكم..».

والفيء الذي يوفره الإمام على رعيته، من الخراج وغيره من واردات الدولة الإسلامية، ومن الطبيعي أن توفير ذلك إنما يكون بتهيئة جميع وسائل العمل والإنتاج.

واستمعوا إلى قوله، عليه السلام، في عهده لمالك الأشتر:

«وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة..».

ويقول: «ومن طلب الخراج بغير عمارة، أخرب البلاد، وأهلك العباد، ولم يستقم أمره إلا قليلاً، وإنما يأتي خراب الأرض من أعواز أهلها..».

إن الدولة إذا شاركت في عمارة الأرض، وساهمت في إصلاحها، وشق أنهارها، وجلب أدوات الزراعة لها، فإن ذلك يؤدي إلى زيادة الإنتاج في الحقل الزراعي، كما يؤديْ إلى توفير العمل، وتشغيل الأيدي العاطلة، وتقليل البطالة.

أما كيفية توفير العمل، فإن ذلك يناط بالظروف والملابسات الزمنية للمجتمع والدولة، وهي مسؤولة قبل غيرها بزيادة الإنتاج، ليتجنب المواطنون من داء الفقر الوبيل.

ب ـ رفع الضرائب عن الفقراء:

من الأسباب التي تؤدي إلى زيادة الإنتاج، وتحسين الحالة الإقتصادية في البلاد: رفع الضرائب، أو تخفيضها عن كواهل الفقراء والضعفاء، فإن ذلك يؤدي إلى تشجيعهم، وإقبالهم على العمل، وزيادة إنتاجهم. يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، رائد العدالة الإجتماعية في رسالة بعثها إلى بعض عماله:

«... ولا تبيعن للناس في الخراج كسوة الشتاء، ولا الصيف، ولا رزقاً يأكلونه، ولا دابة يعملون عليها...».

وأضاف، عليه السلام، يقول: «ولا تبع لأحد منهم عرضاً في شيء من

الخراج، وإنما أمرنا أن نأخذ منهم بالعفو».

إنَّ هذه الإجراءات الرحيمة تستأصل الفقر، والحرمان، وتبعث إلى زيادة الإنتاج، وتوثق الصلة بين الشعب والحكومة، وتشيع المودة بينهم.

لقد أكد علماء الإقتصاد على ضرورة الإقلال من الضرائب التي تضر بالمواطنين، وبينوا أضرارها التي منها ما يلي.

أولاً: إنَّها توجب قلة الرغبة في العمل، وتبعث اليأس والقنوط في نفوس الناس، وتقلل من نشاطهم، الأمر الذي يوجب نقص الإنتاج، وقلة الثروة في البلاد.

ثانياً: إنها تؤدي إلى تفسخ الأخلاق، فإن الإنسان ميال بطبيعته إلى الهروب من الضرائب، فإذا فرضت عليه واستثقلها، أمعن في التخلص منها بالوسائل المنكرة، كالتزوير، والتهريب، والكذب، والإحتيال، وغير ذلك من الطرق التي تؤدي إلى فساد الأخلاق.

ثالثاً: إنها تسبب الهجرة إلى البلاد الأخرى السالمة من الضرائب، ومن المعلوم أن ذلك يؤدي إلى عدم نمو الحركة الإقتصادية.

رابعاً: إنها توجب تهريب الأموال إلى البلاد الأجنبية، فإن المثرين لا يخضعون للضرائب الثقيلة التي تفرضها عليهم الدولة، ويقومون بتهريب أموالهم إلى الخارج لاستثمارها هناك، وذلك يوجب انهيار الإقتصاد العام في البلاد، وتعريض المجتمع إلى الإضطرابات، والمجاعات الشاملة[1].

هذه بعض الأضرار الناجمة من أخذ الضرائب من الفقراء، وقد أكد الإمام أمير المؤمنين، عليه السلام، على إلغاء ضريبة الخراج عنهم، وهي واجبة وذلك لئلا تتأزم الحالة الإقتصادية، ويشيع الإضطراب والتمرد بين الناس.

---

(١) النظام السياسي في الإسلام (ص ٢٥٢) نقلاً عن علم المالية.

ج ـ تشجيع التجار وذوي الصناعات:

ومما يوجب تنمية الثروة في البلاد، وزيادة الإنتاج، وارتفاع البطالة: مساندة الدولة وتشجيعها للتجار، وذوي الحرف، والصناعات، يقول الإمام أمير المؤمنين في عهده الدولي الذي جعله دستوراً لولاته على الأقطار والأمصار، وخص به مالك الأشتر، واليه على مصر، يقول:

«ثم استوصِ بالتجار وذوي الصناعات، وأَوصِ بهم خيراً، والمقيم منهم، والمضطرب بماله، والمترفق ببدنه، فإنهم مواد المنافع، وأسباب المرافق، وجلابها من المباعد، والمطارح، في برك، وبحرك، وسهلك، وجبلك، حيث لا يلتئم الناس لمواضعها، ولا يجترؤون عليها، فإنهم سلم لا تخاف بائقته، وصلح لا تخشى غائلته، وتفقد أمورهم بحضرتك، وفي حواشي بلادك»[1].

إنَّ التجارة والصناعة من الضروريات لإقامة المجتمع الإنساني، ويتوقف عليهما الأعمال والعمران، وتقدم البلاد وازدهارها. ويعتبر الإقتصاد الحديث مؤازرة التجار وأرباب المعامل والصناعات، من أهم العوامل لإنماء الإنتاج القومي، وإن علم الإقتصاد، وعلم المالية، مدينان للتجارة والصناعة، فالعلم الديواني الذي ازدهر في (ألمانية) خلال القرن الثامن عشر، كان نتيجة لمؤازرة الدولة للتجارة والصناعة، وأجمع علماء الإقتصاد في (فرنسة)، و(إنجلترة)، على ذلك، ولكن الإسلام لم يمنح التجار، وأرباب المعامل الحرية التامة في تجارتهم ومعاملهم كما منحها لهم المذهب الرأسمالي، فقد منع الإسلام من الإحتكار، والربا، والغبن، والإستغلال، وغير ذلك مما يوجب حصر الثروة عند فئة خاصة، وتحرم الأكثرية الساحقة من رفاهية العيش[2].

---

(١) نهج البلاغة: ٣/ ١١٠.

(٢) النظام السياسي في الإسلام: ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤.

معاملات ممنوعة:

من روائع الإقتصاد الإسلامي: أنه حرم بعض المعاملات، ولم يجز للمسلم أن يتعاطاها لأنها تؤدي إلى شلل الإقتصاد العام، وشيوع الفقر والحرمان، وتكديس الثراء عند فئة خاصة من الناس، وهذه بعضها:

١ ـ الربا:

أما الربا: فهو من أفحش المحرمات، وأكثرها عقوبة عند الله تعالى، لأنه يؤدي إلى إشاعة البؤس والحرمان، ونشر البطالة، والجريمة في الأرض، وقد أعلن القرآن الكريم تحريمه الصارم له: وقال تعالى:

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين * فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم، لا تظلمون ولا تظلمون * وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وإن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾[١].

وقال تعالى:

﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس.. ﴾[٢].

لقد حرم الإسلام الربا، واعتبره من أعظم الكبائر والموبقات، وقد أثر عن النبي، صلى الله عليه وآله، أنه قال:

«من أكل الربا ملأ الله بطنه من نار جهنم بقدر ما أكل، وإن اكتسب منه، لم يقبل الله منه شيئاً من عمله، ولم يزل في لعنة الله والملائكة ما كان عنده قيراط واحد..».

ويقول باب مدينة علم النبي (ص) الإمام أمير المؤمنين، عليه السلام: «آكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهده، في الزور سواء..».

وقال الإمام الصادق، عليه السلام:

«درهم ربا أعظم عند الله من سبعين زنية كلها بذات محرم في بيت الله الحرام..».

---

(١) سورة البقرة: آية ٢٧٨ ـ ٢٨٠.
(٢) سورة البقرة: آية ٢٧٤.

إلى غير ذلك من الأخبار المتضافرة عن أئمة الهدى، سلام الله عليهم، وهي تعلن الحرب بغير هوادة على السرابين، وتحذرهم أليم عقاب الله تعالى في دار الخلود، وذلك لما فيه من الأضرار البالغة على المجتمع الإنساني، فإنه يترك شبح الفقر وكوارثه ماثلةً في البلاد التي تتعاطى الربا.

وقد ثبت أن الربا من أهم الوسائل للإستعمار، فقد سقطت كثير من الدول تحت وطأة الإستعمار لأنها اقترضت من الدول الكبرى، وعجزت عن تسديد فوائدها المتراكمة، فأعطتها أهم مواردها الإقتصادية، وجعلت تنهب ثرواتها، وتتحكم في مصيرها.

لقد وقعت الدول النامية فريسة تحت وطأة الإستعمار الغربي، وأخذت شعوبها تعاني أقسى ألوان الفقر والحرمان، وذلك بسبب الفوائد الربوية المتراكمة عليها التي عجزت عن تسديدها.. هذه بعض الأضرار الهائلة في الربا.

٢ ـ الإحتكار:

ومنع الإسلام أشد المنع من الإحتكار، لأنه يؤدي إلى نشر المجاعة، والفاقة في البلاد، ويشل الحركة الإقتصادية، وقد تضافرت الأخبار عن النبي (ص) وأوصيائه في المنع عنه وتحريمه. ويقول صلى الله عليه وآله: «لا يحتكر الطعام إلا خاطىء، وإنه ملعون». وفي حديث آخر عنه (ص): «من احتكر الطعام أربعين يوماً، فقد برىء من الله، وبرىء الله منه..».

ويقول الإمام أمير المؤمنين، عليه السلام، في عهده لمالك الأشتر:

«واعلم مع ذلك أن في كثير منهم ـ أي التجار ـ ضيقاً فاحشاً، وشحا قبيحاً، وتحكما في البياعات، وذلك باب مضرة للعامة، وعيب على الولاة، فامنع من الإحتكار فإن رسول الله، صلى الله عليه وآله، منع منه... فمن قارف حكرة بعد نهيك إياه فنكل به، وعاقبه في غير إسراف..».

وقد عقد ابن خلدون في (مقدمته) فصلاً خاصاً عن أضرار الإحتكار، قال

فيه:

«ومما اشتهر عند ذوي البصر والتجربة في الأمصار، أن احتكار الزرع لتحين أوقات الغلاء مشؤوم، وأنه يعود على فائدته بالتلف والخسران، وسببه ـ والله أعلم ـ أنهم لحاجاتهم إلى الأقوات مضطرون إلى ما بين لون فيها من المال اضطراراً، فتبقى النفوس متعلقة به، وفي تعلق النفوس بما لها سر كبير في وباله على من يأخذه مجاناً، ولعله الذي اعتبره في الشرع من أخذ أموال الناس بالباطل وهكذا، وإن لم يكن مجاناً، فالنفوس متعلقة به، لإعطائه ضرورة من غير سعة في العذر، فهو كالمكره، وما عدا الأقوات والمأكولات من المبيعات واضطرار الناس إليها، وإنما يبعثهم عليها التفنّن في الشهوات، فلا يبذلون أموالهم فيها إلا باختيار وحرص، ولا يبقى لهم تعلق بما أعطوه، فلهذا يكون من عرف الإحتكار تجتمع القوى النفسانية على متابعته لما يأخذه من أموالهم، فيفسد ربحه.»[1].

إنَّ الإحتكار يوجب الضَّرر العام، ويحدث المجاعة في البلاد، وهو يعاكس التنافس في بيع السلع، وجلبها إلى الأسواق، يقول بعض من كتب في علم الإقتصاد:

«يعترف الخاص والعام بمزايا التنافس، وبمضار الإحتكار، وإنهما فعلان متناقضان، إذ إنَّ مزايا التنافس زيادة الإنتاج في جميع الأصناف، والتنزيل التدريجي في الأسعار، فتستفيد من ذلك الطبقات الفقيرة أكثر من غيرها، وتنظيم الأرباح، وإيجاد نسبة بينها وبين أجر العمال، توزع الثروة بين الجميع بطريقة أعدل نوعاً ما، مع إيجاد تساوٍ فيها بين جميع الصناعات، وعلى نقيض هذه المزايا يقوم الإحتكار، وتظهر مضاره خصوصاً في رفع الأسعار بغير مقتض..»[2].

---

(١) المقدمة.

(٢) فوائد الثمرات الأحمدية في المباحث الإقتصادية: ص ٩١.

إن الإسلام يلزم ولاة الأمور بمراقبة السوق، والضرب على أيدي المحتكرين لحماية الناس من البؤس والحرمان، وسلامتهم من العري والجوع.

٣ ـ الغبن:

ومنع الإسلام من الغبن في مطلق المعاملات، وهو البيع ـ مثله ـ دون ثمن المثل، مع الجهل بالقيمة، وذلك بأن يبيع ما قيمته مائة بخمسين، مع جهله بذلك، أو يبيع ما قيمته خمسون بمائة، مع جهل المشتري بذلك، وقد جعل الإسلام للمغبون خيار الفسخ، فحين اطلاعه على ذلك له أن يبادر ـ إذا شاء ـ إلى فسخ المعاملة ليسلم من الضرر.

٤ ـ التلاعب بالأوزان:

ومما حرمه الإسلام في معاملاته التلاعب بالأوزان، فقد حذر الذين يتلاعبون بها بالعذاب الدائم في الدار الآخرة، قال تعالى: ﴿ **ويل للمطففين * الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون * وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون * ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون * ليوم عظيم * يوم يقوم الناس لرب العالمين** ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ **وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان** ﴾[2]. إن الأرباح التي تنشأ من التلاعب في الميزان، إنما هي أموال مغصوبة لا يجوز التصرف بها، ويجب ردها إلى أربابها، فإن عرفوا رجعت إليهم، وإن لم يعرفوا فتكون مجهولة المالك تعطى إلى الحاكم الشرعي ليتصدق بها عن أهلها[3].

ضرائب مالية:

وفرض الإسلام ضرائب مالية على الأموال لإعانة الفقراء والضعفاء،

---

(١) سورة المطففين: آية ١ ـ ٦.
(٢) سورة الرحمن: آية ٩.
(٣) النظام السياسي في الإسلام: ص ٢٥٩.

وإنقاذهم من البؤس والحرمان، وكان من بين ما فرضه لهم ما يلي:

١ ـ الزكاة:

أما الزكاة: فليست إحساناً فردياً متروكاً لضمير الفرد، إن شاء أداها، وإن شاء تركها، وإنما هي حق واجب تأخذه الدولة بالقهر، وتقاتل عليه، وهي من أركان الإقتصاد الإسلامي، وقد جاء ذكرها في القرآن الكريم مقرونة بالصلاة في نحو ثلاثين موضعاً، قال الله تعالى: ﴿ **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** ﴾[١]. وقال تعالى: ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة..** ﴾[٢].

إنَّ فلسفة الزكاة من أهم بنود التكافل الإجتماعي الذي أقامه الإسلام، ليقضي على غائلة الجوع والفقر، ولا يوجد لهذا التشريع نظير في المذاهب الإجتماعية.

وبالإضافة إلى رفع الزكاة للضائقة الإقتصادية بين المواطنين، فإنها تلقي بالمودة، والمحبة، والتآلف، بين الغني والفقير، وتقطع دابر الشغب بينهما، وهنا بحوث مهمة ذكرناها في كتابنا (النظام السياسي في الإسلام).

٢ ـ الخمس:

وهو من الضرائب المالية التي فرضها الإسلام على أموال الأغنياء، ويدفع نصف الخمس إلى الذرية الطاهرة من أبناء الرسول، صلى الله عليه وآله، عوضاً لهم عن الزكاة، وأما النصف الثاني فيدفع إلى الإمام، عليه السلام، وفي حال غيبته يدفع إلى نائبه وممثله الحاكم الشرعي الذي ترجع إليه الذمة في شؤون التقليد، ليصرفه في صالح المسلمين، وقد ذكر الفقهاء عرضاً مفصلاً للخمس، وبيان مستحقه، والموارد التي يجب فيها الخمس.

---

(١) سورة البقرة: آية ٨٣.

(٢) سورة البيّنة: آية ٥.

وهو من المشاريع الإقتصادية المهمة التي شرعها الإسلام لإبادة الفقر، والقضاء على الحاجة والحرمان، ونعني به مسؤولية الدولة عن ضمان العيش للمواطنين، ومن بنوده ما يلي:

أولاً: قيام الدولة بتسديد الأَعوان لمن لا تكفيهم مؤنتهم، فإنهم يأخذون بقية نفقتهم، وما يحتاجون إليه من بيت المال.

ثانياً: إنَّ الطبقة الفقيرة إذا استدانت لوجه مشروع كالدين لشراء مسكن، أو لتعميره، أو للزواج، وغير ذلك مما تحتاج إليه، وعجزت عن وفائه، فإن الدولة مسؤولة عن وفائه، وفي الحديث: «من توفي فترك ديناً فعلي قضاؤه»[1]، ويقول الإمام موسى بن جعفر، عليه السلام: «من طلب هذا الرزق من حله ليعود به على نفسه وعياله، فهو كالمجاهد في سبيل الله، فإن غلب عليه، فليستدن على الله ورسوله ما يقوت به عياله، فإن مات ولم يقضه، كان على الإمام قضاؤه، فإن لم يقضه ـ أي الإمام ـ كان عليه وزره، إنَّ الله، عز وجل، يقول: ﴿ **إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين ـ إلى قوله تعالى ـ والغارمين** ﴾، وهذا فقير مسكين مغرم»[2].

وقال الإمام الصادق، عليه السلام: قال رسول الله، صلى الله عليه وآله: «أيما مؤمن أو مسلم، ترك ديناً، ولم يكن في فساد، ولا إسراف، فعلى الإمام أن يقضيه، فإن لم يقضه، فعليه إثم ذلك، إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ **إنما الصدقات للفقراء والمساكين** ﴾ الآية، فهو من الغارمين، وله سهم عند الإمام، فإن حبسه فإثمه عليه»[3].

وقال الإمام علي بن موسى الرضا، عليه السلام: «الغرم إذا تدين أو استدان في حق أجل سنة، فإن اتسع، وإلا قضى عنه الإمام من بيت المال»[4].

---

(١) البخاري: ٣/ ١٧٩.
(٢) حياة الإمام موسى بن جعفر (ع): ١/ ٢٣٣.
(٣) أصول الكافي: ١/ ٤٠٣.
(٤) أصول الكافي: ١/ ٤٠٧.

وكثير من أمثال هذه الأحاديث الشريفة، وهي تلزم الدولة بتسديد ديون الفقراء إذا عجزوا عن وفائها.

ثالثاً: إنَّ الدولة مسؤولة عن الإنفاق على العاجزين عن العمل، لمرض أو عاهة كالعمى والإقعاد، أو شيخوخة، ولم يكن لهم مال أو ولد ينفق عليهم، وقد جعل عمر بن عبد العزيز لكل أعمى قائداً، ولكل مقعد خادماً، وفرض للزمنى[1] رزقاً مخصوصاً، حتى قيل: إن الزمين أحب إلى أهله من الصحيح[2].

رابعاً: إنَّ الدولة مسؤولة عن تقديم جميع المبرات والمعونات للضعفاء والمحرومين والبؤساء، يقول الإمام أمير المؤمنين، عليه السلام، في عهده الذهبي إلى مالك الأشتر:

«ثم الله، الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين، وأهل البؤس والزمنى، فإن في هذه الطبقة قانعاً[3] ومعتراً[4] واحفظ الله ما أستحفظك من حقه فيهم، واجعل لهم قسماً من غلات صوافي الإسلام»[5].

ويؤكد الإمام، عليه السلام، إهتمامه البالغ بالبؤساء فيقول: «فلا يشغلنك عنهم بطر[6]، فإنك لا تعذر بتقييمك التافه لأحكامك الكثير المهم، فلا تشخص[7] همك عنهم، ولا تصعر خدك عنهم، وتفقد أمور من لا يصل إليك ممن تقتحمه[8] العيون، وتحقره الرجال، ففرغ لأولئك ثقتك من أهل

---

(١) الزمنى: جمع زمين، وهم أرباب العاهات، العاجزون عن الكسب.
(٢) النظام السياسي في الإسلام: ص ٢٦٨.
(٣) القانع: السائل.
(٤) المعتر: المعترض للعطاء بلا سؤال.
(٥) الصوافي: جمع صافية وهي أرض الغنيمة.
(٦) البطر: طغيان النعمة.
(٧) لا تشخص: أي لا تصرف نظرك عنهم.
(٨) تقتحمه العيون: أي تحتقره.

الخشية والتواضع، فليرفع إليك أمورهم، ثم اعمل فيهم بالأعذار إلى الله يوم تلقاه، فإن هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الإنصاف من غيرهم. .».

أرأيتم هذا العدل، والعطف على الفقراء الذي أدلى به باب مدينة علم النبي (ص)؟ ومن المقطوع به أنه لو طبقت هذه التعاليم على مسرح الحياة الإسلامية، لما بقي فقير ولا بائس، وسلمت الأمة من الأزمات والإضطرابات.

ويتعرض الإمام، عليه السلام، في عهده لمالك إلى صنف آخر من الضعفاء، فيأمر بالحنان عليهم ومساعدتهم. يقول، عليه السلام: «وتعهد أهل اليتم وذوي الرقة[1]، في السن، ممن لا حيلة له، ولا ينصب للمسألة نفسه، وذلك على الولاة ثقيل، والحق كله ثقيل. .»[2].

وحفلت هذه الوصية بجميع صنوف البر والإحسان بالفقراء والبؤساء، ولا أحسب أن هناك مذهباً من المذاهب الإجتماعية، أو ديناً من الأديان، قد قنن، مثل هذا العطف، والحنان بالفقراء، والضعفاء.

إلى هنا ينتهي بنا المطاف عن بعض اللقطات في الإقتصاد الإسلامي، وهي تقصي الفقر وتزيل شبحه البغيض، وتنشر الرخاء والسعة بين الناس.

آداب إجتماعية:

ووضع الإسلام الآداب العالية، وسنّ المناهج التربوية السامية لتهذيب مجتمعه، وتنمية سلوكه حتى يكون مجتمعاً سليماً، ويكون قدوة حسنة لأمم العالم، وشعوب الأرض، ومن بين ما سنه من الآداب الإجتماعية ما يلي:

القول الطيب:

أما القول الطيب، فهو من أميز الصفات التي يتحلى بها الإنسان، فبه يكسب الأصدقاء، ويدفع غائلة الأعداء، وهو من الصفات التي تنم عن نضوج

---

(١) ذو الرقة: المتقدّم في السن.
(٢) نهج البلاغة ٣/ ١١١.

الفكر، وتكامل الشخصية، وقد ندب إليه الإسلام، قال الله تعالى: ﴿ **وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إنَّ الشيطان ينزغ بينهم.** ﴾[1].

لقد أمر الله تعالى عباده ـ في هذه الآية ـ أن يقولوا الكلام الحسن في مخاطباتهم ومحاوراتهم، فإن لم يفعلوا ذلك، وقالوا الكلام السيء، فإن الشيطان يوقع بينهم الفساد والشر، وقال تعالى في سورة أخرى: ﴿ **وقولوا للناس حسنا** ﴾[2]، وحثت هذه الآية على القول الحسن الذي يكسب الإنسان حب الغير وتقديرهم له.

اللين والبشاشة:

وحث الإسلام على اللين والبشاشة، وعدم الغلظة مع الناس، قال الله تعالى في وصفه لنبيه العظيم: ﴿ **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك** ﴾[3]، ومعنى الآية الكريمة أنه بسبب الرحمة التي أضفاها الله تعالى على نبيه الكريم، فقد عامل، صلى الله عليه وآله، قومه بالرفق، وخاطبهم باللين، ولو كان فظاً، أي شرس الأخلاق لنفروا عنه، وتفرقوا منه، وهذه الآية درس إلى المسلمين أن يتحلوا بالأخلاق الكريمة التي توجب تآلف القلوب، وربط المجتمع بعضه ببعض.

الإستئذان والتحية:

من الآداب الإجتماعية التي سنها الإسلام، الإستئذان في الدخول لبيوت الناس، والتحية لهم، قال الله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون * فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم** ﴾[4]

---

(١) سورة الإسراء: آية ٥٣.
(٢) سورة البقرة: آية ٨٣.
(٣) سورة آل عمران: آية ١٥٩.
(٤) سورة النور: آية ٢٧ ـ ٢٨.

لقد أمر الله تعالى عباده المسلمين، إذا أرادوا زيارة أحد ما أن يستأنسوا أي يفكروا قبل القيام بها أنها حسنة، وليس هناك من الأسباب ما يجعل تلك الزيارة غير مرغوب فيها.

وأمر الله تعالى بالسلام على من يدخلون عليه، الذي هو مفتاح الحديث.. إن هذه الآداب السامية تسمو بالإنسان إلى مستوى رفيع، وتكسبه المحبة بين الناس.

رد التحية:

وأوجب الإسلام رد التحية، وأن يكون الرد بأحسن وأجمل منها، قال الله تعالى: ﴿ **وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها** ﴾[1]. أما عدم الرد فإنه يثير العداوة والبغضاء بين الناس، لأنه يدل على احتقار الغير. والتكبر عليه، وهو مما يوجب إشاعة الحقد والكراهية بين أفراد المجتمع، فلذا نهى الإسلام عنه.

خفض الصوت في الكلام:

ومن محاسن الآداب الإجتماعية التي سنها الإسلام خفض الصوت في الكلام، وقد شبه القرآن الكريم الصوت المرتفع بنهيق الحمير، قال تعالى: ﴿ **واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير** ﴾[2].

وخاطب الله تعالى عباده المسلمين أن لا يرفعوا أصواتهم فوق صوت النبي، صلى الله عليه وآله، قال تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم بعضاً أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون** ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ **إن الذين ينادونك من وراء الحجرات**

---

(١) سورة النساء: آية ٨٦.
(٢) سورة لقمان: آية ١٩.
(٣) سورة الحجرات: آية ٢.

أكثرهم لا يعقلون ﴾[1] .

آداب الجلوس:

من الآداب الإجتماعية التي سنها الإسلام للجلوس في المحافل والمجالس، التوسعة للقادم، فإن ذلك مما يوجب الترابط والتآلف قال تعالى: **﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا ﴾**[2] .

إحترام الكبير:

من الآداب الإجتماعية التي سنها الإسلام، احترام الشيخ الكبير وتوقيره، وقد أثرت في ذلك كوكبة من الأخبار، كان منها ما يلي:

١ ـ قال رسول الله، صلى الله عليه وآله: «من إجلال الله إجلال ذي الشيبة المسلم»[3] .

٢ ـ قال الإمام أبو عبد الله الصادق، عليه السلام: ليس منا من لم يوقر كبيرنا، ويرحم صغيرنا[4] .

٣ ـ قال الإمام أبو عبد الله الصادق، عليه السلام: عظموا كباركم، وصلوا أرحامكم، وليس تصلونهم بشيء أفضل من كف الأذى عنهم[5] .

أرأيتم هذه الآداب العالية التي تسمو بالمجتمع، وتجعله في أرقى مستويات الفضل والكمال؟

المناجاة بالبر والتقوى:

وحث الإسلام المسلمين في حال اجتماعهم على المناجاة بالبر والتقوى

---

(١) سورة الحجرات: آية ٤ .
(٢) سورة المجادلة: آية ١١ .
(٣) أصول الكافي: ٢/ ١٦٥ .
(٤) المصدر نفسه .
(٥) المصدر نفسه .

وعدم المناجاة بما يثير الأحقاد، ويفسد العلائق والروابط، قال الله تعالى: ﴿ **وتناجوا بالبر والتقوى، واتقوا الله الذي إليه تحشرون** ﴾[1].

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض الآداب الإجتماعية التي سنها الإسلام لرفع مستوى مجتمعه.

صيانة المجتمع من التدهور:

واتخذ الإسلام أهم وسيلة لصيانة مجتمعه من الإنحلال، وعدم تسرب الفساد، إليه فأوجب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهو ما يسميه مالك بن نبي الجزائري، بالضغط الإجتماعي، وهو من أوثق الأسباب للقضاء على جميع ألوان الجرائم، والإنحطاط في المجتمع.

لقد اهتمت شريعة الإسلام، كتاباً وسنة، بهذا الواجب المقدس، وجعلته من الفرائض الإسلامية، قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ **ولتكن منكم أُمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر** ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿ **فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون** ﴾[4].

وقال رسول الله، صلى الله عليه وآله: «ما بعث الله نبياً إلا وله حواري، فيمكث النبي بين أظهرهم ما شاء الله، يعمل فيهم بكتاب الله وبأمره، وسنة نبيهم، فإذا انقرضوا كان من بعدهم قوم يركبون رؤوس المنابر، يقولون: ما يعرفون، ويعملون ما ينكرون، فإذا رأيتم ذلك فحق على كل مؤمن جهادهم

---

(١) سورة المجادلة: آية ٩.
(٢) سورة آل عمران: آية ١٠٤.
(٣) سورة آل عمران: آية ١١٠.
(٤) سورة الأعراف: آية ١٦٥.

بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وليس وراء ذلك إسلام»[1].

وقال سيد العِترة الطاهرة الإمام أمير المؤمنين، عليه السلام: «من رأى عدوانا يعمل به، ومنكراً يدعى إليه، فأنكره بقلبه، فقد سلم وبرىء، ومن أنكره بلسانه، فقد أجر، وهو أفضل من صاحبه، ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله العليا، وكلمة الظالمين السفلى، فذلك الذي أصاب سبيل الهدى، وقام على الطريق، ونور في قلبه اليقين»[2].

وقال الإمام أبو جعفر الباقر، عليه السلام:

«إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء، ومنهاج الصلحاء، فريضة عظيمة، بها تقام الفرائض، وتأمن المذاهب، وتحل المكاسب، وترد المظالم، وتعمر الأرض، وينتصف من الأعداء، ويستقيم الأمر، فأنكروا بقلوبكم، والفظوا بألسنتكم، وصكوا بها جباههم، فلا سبيل عليهم ﴿ **إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم** ﴾[3] هنالك فجاهدوهم بأبدانكم، وابغضوهم بقلوبكم غير طالبين سلطاناً، ولا باغين مالاً، ولا مريدين لظلم ظفراً، حتى يفيئوا إلى أمر الله، ويمضوا على طاعته»[4].

إنَّ إقامة المعروف، وتحطيم المنكر، يقضي على جميع ألوان الفساد في المجتمع، ويوجب إعلاء كلمة الحق والعدل في الأرض، وهو من أهم الأهداف الأصيلة التي ينشدها الإسلام، ومن أجلها فقد ضحى سيد شباب أهل الجنة، وريحانة رسول الله (ص)، الإمام الحسين، عليه السلام، بأولاده، وأصحابه، وبنفسه، لإعادة الحياة الإسلامية إلى مجراها الطبيعي، بعدما تعرضت إلى الإنهيار الشامل في حكم يزيد بن معاوية الذي أعلن الكفر

(١) إحياء العلوم: ٢/ ٢٧٢.
(٢) الوسائل كتاب الأمر بالمعروف.
(٣) سورة الشورى: آية ٤٢.
(٤) النظام السياسي في الإسلام: ص ٢٧٣.

والإلحاد بقوله: «لا خبر جاء ولا وحي نزل».

وقد أعرب سيد شباب أهل الجنة، الإمام الحسين، عليه السلام، عن أسباب نهضته وثورته على الحكم الأموي بقوله: «إني لم أخرج أشراً، ولا بطراً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله (ص)، أريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر». من أجل هذه الغاية النبيلة انبرى إلى ميادين الجهاد والكفاح حتى استشهد، سلام الله عليه.

وعلى أي حال، فإن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، من أهم الدعائم التي يقام عليها الأمن العام، ومن أوثق الركائز التي يستند إليها العدل الإجتماعي، والعدل السياسي في البلاد.

وهنا بحوث تتعلق بهذا الواجب الإسلامي ذكرها الفقهاء، وعرضنا لذكرها بالتفصيل في كتابنا (النظام السياسي في الإسلام) وبهذا ينتهي بنا المطاف عن المجتمع السليم في الإسلام.

المجتمع المنهار

أما المجتمع المنهار: فهو الذي فقد جميع مقومات الإرتقاء والنهوض، ومُنيت قطاعاته بالجهل والذل والخنوع، ولم يعد يتمتع بما تتمتع به الشعوب الحرة من العزة والكرامة، ومن الطبيعي أن ذلك كان ناجماً عن أمراض خطيرة أصيبت بها قطاعاته، ولا بدلنا من وقفة قصيرة للتحدث عنها

أما الآفات المدمرة للمجتمع، والتي تجعله أعصاباً رخوة لا حياة فيها، ولا إحساس، فهي:

أولاً: ـ الجهل:

أما الجهل: فهو من أخطر الأمراض الإجتماعية التي تمنى بها الأمة، فهو يسد عليها كل نافذة من نوافذ الحياة، ويدعها نهزة للطامح، ولقمة للجائع.

إن الأمة الجاهلة لا تملك أي قيمة من قيم الحياة، ولا يسود فيها أي وعي سياسي، أو وعي إجتماعي، قد خلدت إلى الذل والهوان... وقد جهد الإسلام على محاربة الجهل، وإقصائه عن المجتمع الإسلامي، ودعا بصورة إيجابية وملزمة، إلى التحرر من ربقة الجهل، والإنطلاق في ميادين المعرفة والعلم، لتزدهر بذلك الحياة، وينعم المجتمع بحياة كريمة، ويتخلص من سلبيات الجهل، وآفاته المدمرة، وقد ذكرنا في البحوث السابقة مدى اهتمام الإسلام بالعلم، ومناجزته للجهل.

ثانياً: ـ الفقر:

أما الفقر: فهو من الكوارث المعاصرة للشعوب، ويجعل الحياة جحيماً لا تطاق، وقد قرنه الإسلام بالكفر، ففي الدعاء «اللهم إني أعوذ بك من الفقر

والكفر».

إنَّ جميع الوسائل التي تتطور بها الحياة، وينعم بها الإنسان من تأسيس الجامعات والمعاهد، وبناء المستشفيات، ودور الولادة، وإقامة المعامل، كل ذلك لا يمكن تأسيسه في ظل الفقر والبؤس، ويبقى المواطنون يعانون أقسى ألوان الحياة وأمرها، تنهش أبدانهم سياط الفقر، وكوارث الحرمان، وقد ألمحنا في البحوث السابقة إلى مكافحة الإسلام للفقر بأحدث الوسائل الإقتصادية المتطورة.

ثالثاً: ـ المرض:

أما انتشار المرض فهو من سمات المجتمع المنهار الذي انعدمت فيه جميع وسائل الصحة المتطورة من إنشاء المستشفيات، وتوفر الأطباء المتمرسين والمتخصصين، الذين يعالجون المرضى بأمانة وإخلاص، لا طمعاً بالمادة كما عليه أكثر أطباء العصر الذين استولى عليهم الجشع، وانعدمت من نفوسهم روح الإنسانية، وهم الذين يسوقون المرضى إلى ساحات الموت، وذلك لعدم تشخيصهم للمرض، وإعطائهم وصفات مضادة للمرض الأمر الذي يسبب الوفاة للمريض ـ في أكثر الأحوال ـ وعلى أي حال فإن المرض آفة مدمرة، وكارثة تنسف جميع معالم الحياة في الأرض، وقد عرضنا فيما تقدم إلى وسائل الصحة التي أقامها الإسلام، والتي تجعل الطب وقائياً.

رابعاً: ـ خيانة الوطن:

أما خيانة الوطن، والعمالة للأجنبي، فإنها من سمات المجتمع المنهار الذي فقد عزته وكرامته، وحريته واستقلاله، وارتدى ثياب الخزي والعار.

إنَّ حب الوطن من الإيمان ـ كما في الحديث الشريف ـ والذي يتنكر لوطنه، ويخونه، أو يعمل لغير صالحه، فهو من الخونة المجرمين.

وعلى أي حال فإن الإخلاص للوطن، وحمايته، والعمل من أجل صالحه، واجب مقدس على كل مواطن، وقد استوعبنا الكلام في هذا

الموضوع في البحوث السابقة فلا حاجة لإعادته.

أمراض خطيرة:

وإذا أصيب المجتمع بالأمرض التالية، فإنه يفقد أصالته، وتنهار مقوماته، ويكون مجتمعاً متخلفاً، قد فقد عناصر التقدم والإرتقاء، ومن بين هذه الأمراض ما يلي:

١ ـ الظلم والإيذاء:

أما الظلم فإنه يهدم الروابط الإجتماعية، وينسف عوامل المحبة والألفة، ويلقي الناس في شر عظيم، وقد حذر منه الإسلام كأشد ما يكون التحذير، قال الله تعالى: ﴿ **وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون** ﴾[١] وقال تعالى: ﴿ **ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون** ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿ **والله لا يهدي القوم الظالمين** ﴾[٣] قال تعالى: ﴿ **فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين** ﴾[٤] إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التي لعنت الظالمين، ووعدتهم بالإنتقام العاجل منهم.

أما الأحاديث الواردة في التحذير من الظلم، فهي أكثر من أن تحصى، والتي منها قول النبي، صلى الله عليه وآله: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة» وفي حديث آخر «لو بغى جبل على جبل لدُك الباغي». إن الظلم والإعتداء على الناس بغير حق، من الأمراض التي تفتك بالمجتمع، وتؤدي إلى خرابه وانهياره... أما إيذاء الناس فهو من أفحش المحرمات، وقد تظافرت الأخبار بتحريمه، والتي منها:

١ ـ قال الإمام الصادق، عليه السلام: قال الله عزَّ وجلَّ: ليأذن بحرب

---

(١) سورة الشعراء: آية ٢٢٧.
(٢) سورة إبراهيم: آية ٤٢.
(٣) سورة آل عمران: آية ٨٦.
(٤) سورة الأنعام: آية ٤٥.

مني، من أذى عبدي المؤمن، وليأمن غضبي من أكرم عبدي المؤمن[1].

٢ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله تبارك وتعالى: من أهان لي ولياً، فقد أرصد لمحاربتي[2].

٣ ـ قال الإمام الصادق، عليه السلام: إذا كان يوم القيامة، نادى مناد: أين الصدود لأوليائي؟ فيقوم قوم ليس على وجوههم لحم، فيقال: هؤلاء الذين آذوا المؤمنين، ونصبوا لهم، وعنفوهم في دينهم، ثم يؤمر بهم إلى جهنم[3].

إلى غير ذلك من الأخبار التي حرمت الإعتداء على الناس، والنيل منهم، لأنها تؤدي إلى إشاعة الكراهية والبغضاء بين الناس.

٢ ـ السخرية بالناس:

من الأمراض التي تفتك بالمجتمع الإنساني هي السخرية بالناس، والإستهزاء بهم، وقد حرمها الإسلام قال الله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم، عسى أن يكونوا خيراً منهم، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن** ﴾[4].

إنَّ السخرية بالناس إنما تكون من السفلة الذين مُحِيَ من نفوسهم الشرف والفضيلة.

٣ ـ الغيبة:

الغيبة من الأمراض التي تنخر في جسم المجتمع الإنساني، وتؤدي إلى شيوع الكراهية والبغضاء بين الناس، وقد حرمها الإسلام، قال الله تعالى: ﴿ **ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه**

---

(١) أصول الكافي ٢/ ٣٥٠.
(٢) أصول الكافي ٢/ ٣٥١.
(٣) أصول الكافي ٢/ ٣٥١.
(٤) سورة الحجرات: آية ١١.

واتقوا الله إن الله تواب رحيم ﴾[1] .

وروى الإمام الصادق، عليه السلام بسنده عن جده رسول الله، صلى الله عليه وآله، أنه قال: «من اغتاب مؤمناً بما فيه، لم يجمع الله بينهما في الجنة أبداً، ومن اغتاب مؤمناً بما ليس فيه، فقد انقطعت العصمة بينهما، وكان المغتاب خالداً في النار، وبئس المصير»[2] .

وخطب النبي (ص) حتى أسمع العواتق في بيوتها، وقد عرض في خطابه إلى الغيبة، فقال:

يا معشر من آمن بلسانه، ولم يؤمن بقلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من تتبع عورة أخيه، يتتبع الله عورته حتى يفضحه في جوف بيته»[3] .

وقال النبي، صلى الله عليه وآله: «ما عمر مجلس بالغيبة إلا خرب بالدين، فنزهوا أسماعكم عن استماع الغيبة، فإن القائل والمستمع لها، شريكان في الإثم»[4] .

وقال الإمام الصادق، عليه السلام: «من قال في مؤمن ما رأته عيناه، وسمعته أذناه، فهو من الذين قال الله، عز وجل: ﴿ **إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم** ﴾.

إنَّ الغيبة من أخبث الأمراض التي تغلل وحدة المجتمع، وتنشر الحقد والكراهية في النفوس.

٤ ـ النميمة:

ومن الأمراض التي حرمها الإسلام، (النميمة) وهي أن ينقل قول الغير

---

(١) سورة الحجرات: آية ١٢.
(٢) المكاسب للشيخ الأنصاري.
(٣) جامع السعادات ٢/ ٢٩٨.
(٤) النظام السياسي في الإسلام: ص ٢٢٧.

إلى المقول فيه، فيقول له ـ مثلاً ـ إنَّ فلاناً قال فيك كذا وكذا، من ألفاظ الذم والنقص، وهي تؤدي إلى إشعال نار الفتنة، وتلقي الناس في شر عظيم، وقد أعلن القرآن الكريم حرمتها، قال الله تعالى: ﴿ **هماز مشاء بنميم * مناع للخير معتد أثيم * عتلٍّ بعد ذلك زنيم** ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ **ويل لكل همزة لمزة** ﴾[2] والمراد بالهمزة اللمزة هو النمام المغتاب، وقد حذر الرسول الأعظم، صلى الله عليه وآله، أمته منها، قال، صلى الله عليه وآله:

«أحبكم إلى الله أخلاقاً الموطئون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون، وإن أبغضكم إلى الله المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الملتمسون للبراء العثرات»[3]. وخاطب النبي، صلى الله عليه وآله، أصحابه فقال لهم: «ألا أنبئكم بشراركم؟..».

وطفق أصحابه قائلين:

«بلى يا رسول الله..».

وانبرى الرسول (ص) يبين لهم الأشرار ليبتعدوا عنهم قائلاً: «المشَّاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الباغون للبراء المعايب»[4]. وكثير من أمثال هذا الحديث تظافر عن النبي (ص)، وعن أئمة الهدى، وهي تحذر المسلمين من الإتصال بالنمامين الذين يصدعون شمل المسلمين، ويمزقون وحدتهم.

٥ ـ فقدان التربية:

من الأمراض الخطيرة التي يُمنى بها المجتمع، فقدان التربية الواعية للأبناء في البيوت، والمدارس، والمعاهد، فإنها تؤدي إلى خلق جيل لا عهد له بالقيم الصحيحة، والآداب الرفيعة، مما يسبب تفلل المجتمع، وانهياره، وإصابة أبنائه بكثير من الأمراض النفسية كالكذب، والإعتداء على الغير،

---

(١) سورة القلم: آية ١١ ـ ١٣.
(٢) سورة الهمزة: آية ١.
(٣) مستدرك الوسائل: كتاب الحج.
(٤) الوسائل: كتاب الحج.

واقتراف الجريمة، وغير ذلك من المضاعفات السيئة.

٦ ـ انعدام الدين:

أما الدين: فهو السياج الواقي للمجتمع من الشذوذ والإنحراف، وهو من أهم الأرصدة الروحية التي تمنع الإنسان من اقتراف الجريمة، والرذيلة، وتكسبه الفضائل والآداب التي يسمو بها.

إنَّ الوازع الديني إذا انعدم من النفوس، فإن الناس يأكل بعضهم بعضاً، فإن الحروب التي مُني بها العالم، وراح ضحيتها الملايين من الناس، كما في الحرب العالمية الأولى والثانية، إنما كانت ناجمة من فقدان الدين من نفوس ساسة العالم الذين أغرقوا الأرض في المحن والويلات.

وعلى أي حال، فإن انعدام الدين، أو ضعفه، من الأمراض الخطيرة التي يمنى بها المجتمع الإنساني، كما أكدت ذلك البحوث الإجتماعية، والنفسية الحديثة.

وبهذه اللقطات والبحوث الموجزة ينتهي بنا الحديث عن النظام الإجتماعي في الإسلام، آملين أن يجد فيه السادة القراء المتعة والفائدة، وهو ما أتمناه.

بحوث الكتاب

الموضوع	الصفحة
البسملة مع آيات من الذكر الحكيم	٢
الإهداء	٣
تقديم	٤
إشاعة الإيمان بالله	١٣
الإيمان عن تقليد	١٤
الإيمان عن برهان	١٦
١ ـ الأدلة العقلية	١٦
٢ ـ الأدلة الحسية	١٦
عرض للأدلة الحسية على وجود الخالق العظيم	١٧
ثمرات الإيمان	٢٠
نشر العلم	٢٣
فضل العلم	٢٥
تطور الحياة العلمية في الإسلام	٢٥
١ ـ يثرب	٢٥
أ ـ مدرسة التابعين	٢٦
ب ـ مدرسة أهل البيت	٢٦
٢ ـ الكوفة	٢٧
٣ ـ البصرة	٢٨
٤ ـ بغداد	٢٩

٥ ـ القاهرة ٣٠
المكتبات ٣١
تطور العلوم ٣١
القمر الصناعي الذي أطلق في بغداد ٣١
وحدة المسلمين وتضامنهم ٣٤
تشريعات مهمة ٣٤
صلاة الجماعة ٣٥
صلاة الجمعة ٣٥
صلاة العيدين ٣٥
مؤتمر الحج ٣٦
الحث على الوحدة ٣٦
في ظلال القرآن الكريم ٣٦
في رحاب السنة ٣٨
التماسك الإجتماعي ٣٩
إلغاء التمايز العنصري ٣٩
المساواة الرائعة ٤٢
المساواة أمام القانون ٤٢
التشريعات الحديثة ٤٥
أ ـ تمييز رئيس الدولة ٤٥
ب ـ تمييز رؤساء الدول الأجنبية ٤٥
ج ـ تمييز السلك الدبلوماسي ٤٦
د ـ تمييز أعضاء الهيئة التشريعية ٤٦
هـ ـ تمييز الأغنياء ٤٦
و ـ تمييز الشخصيات البارزة ٤٧
المساواة في الضرائب ٤٨
المساواة في التوظيف ٤٨
المساواة في الواجبات الاسلامية ٤٨

المجتمع السليم ٥٠
عوامل الربط الإجتماعي ٥٠
١ ـ حب الخير للناس ٥٠
٢ ـ التراحم والتعاطف ٥١
٣ ـ السعي في حوائج الناس ٥١
٤ ـ التعاون ٥٢
٥ ـ إصلاح ذات البين ٥٢
٦ ـ الاستقامة ٥٣
٧ ـ التزاور ٥٣
٨ ـ الصدق ٥٤
٩ ـ حماية الوطن ٥٦
١٠ ـ بسط الأمن ٥٦
١١ ـ نشر الحريات ٥٧
أ ـ حرية العقيدة ٥٧
ب ـ حرية التعبير عن الرأي ٥٨
ج ـ الحرية الشخصية ٥٩
الحرية في النظام الرأسمالي ٦٠
الحرية في النظام الشيوعي ٦١
١ ـ الرقابة على الصحف ٦٢
٢ ـ استعباد العمال ٦٣
١٢ ـ الوفاء بالعهد والوعد ٦٤
١٣ ـ الصحة العامة ٦٥
النظافة ٦٥
أ ـ الوضوء ٦٦
ب ـ تنظيف الأسنان ٦٧
ج ـ الإستنجاء ٦٧
نظافة الثياب ٦٧

نظافة المسكن ٦٨
نظافة الطرق وتشجيرها ٦٨
الغسل ٦٨
المأكل والمشرب ٦٨
تجنب الإسراف في الأكل ٦٩
مأكولات محرمة ٦٩
١ ـ الميتة ٧٠
٢ ـ الدم ٧٠
٣ ـ لحم الخنزير ٧١
الخمور ٧٢
٤ ـ إقصاء الفقر ٧٣
لقطات من الإقتصاد الإسلامي ٧٥
١ ـ العمل على زيادة الثروة ٧٥
أ ـ توفير العمل ٧٥
ب ـ رفع الضرائب عن الفقراء ٧٦
ج ـ تشجيع التجار وذوي الصناعات ٧٨
معاملة ممنوعة ٧٩
١ ـ الربا ٨٠
٢ ـ الإحتكار ٨١
٣ ـ الغبن ٨٣
٤ ـ التلاعب بالأوزان ٨٣
ضرائب مالية ٨٣
١ ـ الزكاة ٨٤
٢ ـ الخمس ٨٤
٣ ـ الضمان الإجتماعي ٨٥
آداب إجتماعية ٨٧
القول الطيب ٨٧

اللين والبشاشة ٨٨
الإستئذان والتحية ٨٨
رد التحية ٨٩
خفض الصوت في الكلام ٨٩
آداب الجلوس ٩٠
إحترام الكبير ٩٠
المناجاة بالبر والتقوى ٩٠
صيانة المجتمع من التدهور ٩٠
المجتمع المنهار ٩٤
آفات مدمرة ٩٤
أولاً: ـ الجهل ٩٤
ثانياً: ـ الفقر ٩٥
ثالثاً: ـ المرض ٩٥
رابعاً ـ خيانة الوطن ٩٥
أمراض خطيرة ٩٦
١ ـ الظلم والإيذاء ٩٦
٢ ـ السخرية بالناس ٩٧
٣ ـ الغيبة ٩٧
٤ ـ النميمة ٩٨
٥ ـ فقدان التربية ٩٩
٦ ـ إنعدام الدين ١٠٠
بحوث الكتاب ١٠١